JOHN STEINBECK
رواية
جون شتاينبك
مكتبة نوميديا 209
Telegram@Numidia_Library
THE WAYWARD BUS
الأوتوبيس الطائش
Leyland
YLJ147
147
كنوز
البندقية

اسم الكتاب: الأوتوبيس الطائش (رواية)

المؤلف: جون شتاينبك

مراجعة وتحرير: ياسر شعبان

الإشراف العام: ياسر رمضان

الناشر

كنوز

14 شارع جواد حسني متفرع من شارع قصر النيل - القاهرة
تليفاكس: 0223961698 محمول: 01227717795
email: kenouz55@yahoo.com

رقم الإيداع: 2019/4088
الترقيم الدولي: 978-977-709-507-5

الطبعة الأولى: 2019
حقوق الطبع محفوظة
لا يسمح بإعادة إصدار هذا الكتاب أو أي جزء منه أو تخزينه في نطاق استعادة المعلومات، أو نقله بأي شكل من الأشكال، دون إذن خطي مسبق من الناشر

جون شتاينبك

(رواية)

الأوتوبيس الطائش

مراجعة وتحرير

ياسر شعبان

الترجمة الكاملة للرواية عن:

The Wayward Bus

Author: John Steinbeck

LONDON

Viking Press

1947

الفصل الأول

زاوية المتمردين

7

قبل مدينة سان سيدور بنحو اثنين وأربعين ميلا، وعلى الطريق الزراعية العامة ناحية الشمال الغربي من ولاية كاليفورنيا، هناك مفترق طرق أطلق عليه منذ اثنين وثمانين عامًا اسم «rebellers corner - زاوية المتمردين». وترجع تسميته بهذا الاسم إلى عائلة من ثوار الولايات الجنوبية في الحرب الأهلية الأمريكية عام 1862، احتمت في هذه المنطقة، ودافعت عنها، واستقرت فيها، واشتغلت بالحدادة والزراعة فترة من الزمن، ثم انقرض أفرادها عن آخرهم دون أن يتركوا وراءهم غير هذا الاسم الذي أطلق على مفترق الطرق في تلك المنطقة.

ومن هذا المفترق للطرق تمتد طريق تنعطف يمينًا باتجاه الغرب لتسعة وأربعين ميلاً، وعندئذٍ تتصل بطريق زراعية أخرى كبيرة؛ تمتد من سان فرانسيسكو إلى لوس أنجلوس، ومنها بطبيعة الحال إلى هوليود.

وعلى هذا فإنه يتحتم على كل شخص داخل هذا الوادي الفسيح، يريد أن يمضي إلى الشاطئ في تلك البقعة من الولاية أن يتخذ الطريق التي تبدأ من «زاوية المتمردين» وتتلوى بين التلال، ووسط بقعة صحراوية صغيرة، ثم داخل الحقول والجبال حتى تصل أخيرًا إلى الطريق الساحلية العامة، في قلب مدينة سان جوان دى لاكروز.

عند هذا المفترق من الطرق المسمَّى «زاوية المتمردين» نجد بطل قصتنا جون شيكو وزوجته أليس وقد اشتريا مساحةً من الأرض أقاما عليها محطَّة لخدمة السيارات، وجراج، ومطعمًا، واستراحةً صغيرةً، وورشةً لإصلاح ما

تصاب به السيارات من عطب، كما حصلا على امتيازِ نقل المسافرين من «زاوية المتمردين» إلى مدينة سان جوان دى لاكروز على الطريق الساحلية العامة.

وتقع القاعة المؤدِّية إلى المطعم وراء مضخات البنزين، لا تفصل بينهما غير مساحة من الأرض المزروعة بالزهور، والمفروشة بالرمال البيضاء النظيفة.

أما المقاعد نفسها، فهي متوسطة الحجم، وقبالتها طاولة للخدمة ومقاعد مستديرة مثبتة في الأرضية، وثلاث مناضد لمن يريد أن يتناول طعامًا بعيدًا عن طاولة الخدمة.

ونادرًا ما تُستخدم هذه المناضد لأن الجالس إليها مضطر لأن يدفع للسيدة شيكو «بقشيشًا» إضافيًّا، ولهذا يفضل العملاء الجلوس على المقاعد المثبتة أمام طاولة الخدمة مباشرة.

ووراء طاولة الخدمة نرى مجموعة من الأرفف، وعلى الرفُّ الأول نجد شطائر الحلوى، وكعك جوز الهند، وبعض الفطائر الجافة.

وعلى الرفُّ الثانى هناك علبَ الحساء المحفوظ، والبرتقال، والموز، وعلى الرفُّ الثالث علب الدقيق، ومسحوق الأرز، والزبيب، وغيرها من الحبوب المعبَّأة.

وإلى أحد طرفي المائدة شواية وبجانبها حوض، وبجانب الحوض زجاجات البيرة والجبن، وبجانبها علب الآيس كريم، وعلى المائدة نفسها جهاز آلي توضع فيه النقود فيدير الأسطوانة الغنائية أو الموسيقى المطلوبة، وبجانبه زجاجات الملح والفلفل والخردل والمناشف الورقية، والعلب الزجاجية لعرض الكعك والفطائر ذات الأغطية المصنوعة من البلاستك.

أما الجدران فمُزينة أيضًا بصور فتيات جميلات شبه عاريات، بارزات النهود، طويلات السيقان، ضامرات الخصور، مستديرات الأرداف.

وكانت أليس شيكو - السيدة جون شيكو- التي تعمل بين صور الفتيات الحمساوات، سيدة في نحو الأربعين من العمر، عريضة الأرداف، صغيرة الصدر، ملفوفة الجسد إلى حدٍّ ما، ولكنها لم تشعر أبدًا بالغيرة من فتيات هذه الصور الإعلانية، لأنها لم تر في حياتها من تشبههنَّ في واقع الحياة، وتعتقد أنه ليس هناك من رأى في حياته مثلهن.

كانت تقضي النهار وجزءًا كبيرًا من الليل في إعداد السجق، وقلي البيض، وتسخين علب الحساء، وضرب الآيس كريم.. فلا عجب إذا كان التعب يدب في أوصالها آخر النهار، ويؤثر على أعصابها، ويجعلها تهمل زينتها.

وبجانب قاعة الطعام، نجد الجراج الذي كان في السابق ورشة حِدادة للعائلة المنقرضة. وفي هذا الجراج يقضي جون شيكو معظم وقته إذا لم يكن مشغولًا بقيادة سيارته الحافلة بالركاب بين «زاوية المتمردين» ومدينة سان جوان دى لاكروز.

وجون شيكو هذا رجل طويل القامة قوي البنية، ينحدر من أم مكسيكية وأم أيرلندي، ويبلغ من العمر نحو خمسين عامًا، ولكن من يراه يحسبه في الأربعين. له عينان سوداوان، ناعم الشعر، جميل الرأس، وسيم الوجه، ملوح البشرة، تحبه زوجته بجنون، وتخشاه بعض الشيء، لأنه رجل، ولأن الرجال في الدنيا- كما اكتشفت أليس أخيرًا- قليلون.

وفي هذا الجراج يعمل جون شيك في إصلاح الإطارات، وتنظيف خزانات الوقود، وإعداد ما يلزم لمضخات البنزين، وغير هذا وذاك من الشئون اللازمة للخدمة والصيانة في محطة بنزين. ويقوم بهذه الأعمال في

الأوقات التي لا يقود فيها أوتوبيسه، أي قبل العاشرة والنصف صباحًا وبعد الرابعة مساء.

أما فيما بين هاتين الساعتين، فيكون مشغولًا بقيادة الأوتوبيس ناقلًا المسافرين الذين وصلوا إلى «زاوية المتمردين»، لمدينة سان جوان دى لاكروز، ثم العودة بغيرهم من هذه المدينة إلى «زاوية المتمردين» حيث يستقلون السيارة العامة الذاهبة إلى الشمال في تمام الساعة الرابعة والخمسين دقيقة، أو الأخرى الماضية إلى الجنوب في الخامسة والربع.

وعندما يكون السيد جون شيكو مشغولًا بقيادة الأوتوبيس، يعمل في الجراج صبية دون العشرين من العمر؛ متفاوتون في البراعة والمقدرة على العمل، ولكنهم يتفقون في الميل للكسل والإهمال ومطاردة البنات. ولهذا قلما كان يبقى أحدهم مدة طويلة في هذا العمل، لأنَّ جون شيكو، وهو نفسه رجل بارع نشيط، كان حريصًا على إرضاء عملائه، فلا يطيق أي خطأ يحدث بسبب الإهمال أو الكسل.

وكان معظم الصبية والشباب الذين عملوا معه، يعتبرون هذا العمل مجرَّد «محطة» في طريقهم الطويلة إلى هوليود حيث تناديهم الشهرة والثراء، وحيث تتركز أحلامهم في الليل والنهار.

وتقع وراء الجراج دورتان للمياه منفصلتان تمامًا، إحداهما «للرجال» والثانية «للنساء». كلاهما تفضيان للجراج؛ الأولى إلى جهة اليمين والثانية إلى جهة اليسار.

ومن معالم هذه البقعة مجموعة من أشجار السنديان الشامخة المحيطة بالجراج والمطعم، لا يعرف أحد من زرعها في تلك البقعة، وإنما المؤكد أنها عمرها يتجاوز مائتي عام.

وتسهم هذه الأشجار البديعة، خلال فصل الصيف، في تزويد المحطة بالظلال الوارفة التي يستظل بها المسافرون للراحة وتناول طعام الغداء، ولتبريد محركات سياراتهم الخاصة كذلك.

وكانت المحطة نفسها جميلة تسر العين، مطلية باللونين الأخضر والأحمر، وتحيط بها أُصص الأزهار فواحة العطر، وتمتد أمامها الرمال البيضاء التي يرشونها بالماء يوميًا. وفي داخل المطعم والجراج، فكان النظام مستقرًا، وكل شيء يسير في دقة وترتيب، مع الحرص الشديد على النظافة وحسن الأداء.

وكما كان جون شيكو يعاني كثيرًا من مساعديه العمال؛ فبالكاد يعمل الواحد منهم لديه أسابيع قليلة قبل أن يرحل ليحل آخر محله، كذلك كانت السيدة شيكو تعاني من نفس المشكلة مع مساعداتها من العاملات في المطعم، فالجميلة منهن سرعان ما تترك العمل بعد أيام قليلة لتذهب برفقة أحد العملاء، ونصف الجميلة لا تكف عن التأوهات وهي تنصت إلى الأغاني، ولا تتعب من كتابة الرسائل المطولة إلى الممثل المشهور كلارك جيبيل، كما هو الحال مع هذه الفتاة التي كانت تعمل معها عند وقوع أحداث هذه القصة.

إنها نورما التي يملأ كلارك جيبيل خيالها، ويجعلها هدفًا طيبًا لقذائف لسان السيدة أليس، خاصة عندما تكون هذه الأخيرة متعبة ومتوترة الأعصاب.

وللمحطة نظام عمل لا يتغير، فكل صباح مع شروق الشمس، وربما قبل أن تشرق في الشتاء - تكون أليس قد أعدت إبريق القهوة الضخم لاستقبال أصحاب وسائقي السيارات الخاصة أو سيارات النقل البرِّي، أو مندوبي أقسام البيع والتوزيع في الشركات الذين يبدءون السفر ليلًا، لتتمكن من مجاراة نشاطهم الموفور طوال ساعات النهار. وكانوا جميعهم يجدون في قاعة المطعم، وفي تلك الساعات المبكرة، الراحة والدفء والإفطار الشهي. وبعدها يبدأ

والد السائحون وغيرهم من المسافرين لطلب الوقود بعد شروق الشمس، أو لتناول الطعام وشرب القهوة، أو للسؤال عن اتجاه الطريق.

ولم تكن نورما تهتم مطلقًا بالسياح والمسافرين الوافدين من ناحية الشمال، وإنما كان اهتمامها يتركز على الوافدين من الجنوب، من مدينة سان جوان دي لاكروز؛ لأن الاحتمال كبير في أنهم مروا في طريقهم بهوليوود، كعبة آمالها، ومستقر فارس أحلامها. فمن يدري، فربما تجد بينهم من رأى كلاك جيبيل وجها لوجه.

وكانت نورما تبدأ رسائلها المطولة إلى جيبيل بهذه العبارة «عزيزي السيد جيبيل» ثم تختتمها قائلة «حبيبتك المجهولة». وكانت ترتعد بالانفعال وهي تكتب الكلمتين الأخيرتين، وكأنما تتوقع أن يعرف «جيبيل» من هي هذه الحبيبة المجهولة.

وفي بعض الأحيان كانت تُمني النفس بأنها سوف ترفع عينيها الحالمتين - يومًا - وهي تمسح طاولة الخدمة وتلمعها - فترى الباب يفتح، ويدخل منه فارس أحلامها «جيبيل» ويقف متسمرًا في مكانه حين يراها، ويفتح فمه دهشة لجمالها، وتقول عيناه بوضوح: «آه، هذه هي فتاة أحلامي.»

وعند هذا الحد كانت أحلام نورما تتوقف، لأنها من النوع شديد الحياء والخجل. وعدا هذا لم تكن في تلك السن، التاسعة عشر من العمر، قد عرفت بعد كيف تمارس الحياة الزوجية. وكانت مظاهر الحب الجنسي في حياتها ليست سوى صراع عنيف متصل مع الذين يحاولون اغتصابها رغمًا عنها، فيمزقون ملابسها، ولكنها كانت في كل مرة تخرج ظافرة منتصرة، وكانت على يقين بأن «جيبيل» لا يمكن أن يفعل هذا معها، لأنه رجل مهذَّب. ولم تكن نورما بارعةَ الجمال، كما لم يكن شكلها منفِّرًا، فهي فتاة لا تخلو من الجمال إذا جلست معها عدة مرة وجعلتها تألفك وتطمئن إليك. فهنا تلمع

عيناها الواسعتان بالحنين، وتفتر شفتاها الورديتان عن ابتسامة فيها طفولة وود وربما اضطرب صدرها البارز قليلًا عندما تطيل نظراتك إلى عينيها وكانت تمتلك قطعتين من الحليّ ورثتهما عن أمها، سوار من الذهب المنقوش، وقلادة من اللؤلؤ المزيف والمحار، ولكنها كانت تعتز، إلى حد الجنون، بقطعتين أخريين من الحليّ اشترتهما من مالها الخاص: دبلة وخاتم زواج مرصع بقطعة كبيرة من الماس المقلد، وكانت شديدة الحرص على إخفاء هاتين القطعتين أثناء النهار في قاع حقبة ملابسها التي لا تتركها مفتوحة أبدًا. حتى إذا دخل الليل، وضعت الخاتمين في إصبعيها الخنصر، ونامت وعلى شفتيها ابتسامة راضية.

أما حجرات النوم في المطعم، فكانت قليلة وبسيطة وبعيدة عن الأنظار، ففي جانب الجدار الواقع وراء طاولة الخدمة، يوجد باب يؤدي إلى ممر صغير ينتهي بحجرة نوم جون شيكو وزوجه. وهي تحتوى على سرير عريض لشخصين، ومنضدة، وأريكة مريحة، وثلاثة مقاعد، ومصباح ذي مظلة خضراء، وعلى الأرضية سجادة من نوع جيد.

وتؤدّي هذه الحجرة إلى حجرة نوم نورما مباشرة، وذلك أنّ السيدة أليس كانت حريصةً على رعاية الفتاة التي تعمل معها في هذه الناحية الأخلاقية، وترى أنها مسئولة عنها بطريقة مباشرة. ومن ثمّ كان على نورما أن تمر بغرفة أليس عند دخولها إلى حجرتها أو عند الخروج منها، أما الحمام الصغير، فكان يقع في الممر.

□□□

الفصل الثاني

جون شيكو

كانت فلول الليل في النزاع الأخير عندما سار جون شيكو حاملًا المصباح إلى باب الجراج. وكان الشاب «بمبلز» يسير وراءه مترنحًا وعيناه مثقلتان بالنوم، ويداه في جيبي سرواله، وجسمه النحيل يرتعد من الهواء البارد المثقل بصير الزهور ورائحة الحقول، والذي كان يهب من الشمال عبر التلال والحقول.

وتناول شيكو من جيب ملابس العمل حلقة مفاتيح، اختار منها مفتاحًا كبيرًا وفتح باب الجراج، ثم أضاء المصباح الكهربائي الذي يتوسط السقف، وأطفأ المصباح الذي كان يحمله، ثم تناول مجموعة من الآلات والأدوات. وراح يختار منها ما يحتاج إليه، بينما وقف بمبلز كارسون بجانبه، معتمدًا بمرفقه على منضدةٍ للعمل، يرقبه في تكاسل وصمت، ويحاول جاهدًا أن يطرد بقايا النوم من عينيه.

وكان بمبلز غلامًا في نحو السابعة عشرة من عمره، طويل القامة، نحيل الجسم، ضيق الكتفين، شاحب لون العينين، يمتلئ وجهه المستطيل بحب الشباب المزمن الذي جعل أهله ومعارفه يطلقون عليه «بمبلز»، والذي أكد له الأطباء أنه سوف يزول بعد أن يتجاوز الثانية والعشرين من عمره، ولكنه مع هذا لم يكف عن شراء الأدوية والمراهم التي يقرأ عن فائدتها في إزالتها.

وكان في ذلك الصباح يرتدي سترة جلدية من النوع الذي يرتديه راكبو الدراجات البخارية في المسافات الطويلة، وسروالًا ضيقًا أزرق اللون،

ونعلًا خفيفًا له أربطة تدور حول أعلى القدمين ووضع جون شيكو ما اختاره من آلات وأدوات في كيس جلدي ثم قال لبمبلز:

- هات مصباح العمل ذا السلك الطويل واتبعني إلى السيارة يا بمبلز. هلم استيقظ وافتح عينيك واطرد بقايا النوم عن رأسك وانتفض بمبلز كما يفعل الكلب الكسول، ثم قال:

- يبدو أن النوم يريد أن يغلبني على أمري.

- دعك من الكسل، وهلم أحمل المصباح واللوح الخشبي، فقد آن لنا أن نفرغ من أصلاح تروس السيارة.

وتناول بمبلز المصباح الكهربائي الموضوع داخل شبكة من أسلاك الحديد تحفظه من الكسر، وراح يكر سلطه الطويل المغلف بالمطاط.

ثم وضع «الكبس» في «الفيشة» القريبة من باب الجراج، وحمل بيده الأخرى اللوح الخشبي المبطن بالمطاط الذي يوضع عادة تحت السيارة عند إصلاحها لينام عليه من يقوم بعملية الإصلاح لينام عليه من يقوم بعمله الإصلاح. ولكنه ما كاد يبتعد قليلا عن الجراج في الطريق إلى السيارة حتى هتف قائلًا حين شعر بقوة الريح الباردة تزداد:

- يا للسماء، أنها إذا أمطرت فسوف تزيد الأمور تعقيدًا!

وكانت قمم الجبال في الشرق قد بدأت تنكشف قليلا مع الفجر الزاحف ببطء، وكان ضوء المصباح ينعكس على الأرضية المفروشة بالرمال، ويكشف عن أوراق أشجار السنديان المتناسقة. ووضع بمبلز اللوح تحت الجزء الخلفي من السيارة الحافة وهو يكرر القول:

- أنها إذا أمطرت..

- أن المطر لا يهمني في الوقت الحاضر، و إنما المهم هو إصلاح هذا الترس الذي انكسر ثم تهدئة ثائرة الركاب الذين اضطروا إلى قضاء الليل هنا.

وكان الجزء الخلفي من السيارة مرفوعًا عن الأرض قليلًا فوق حمالتين من الروافع الخشبية؛ وكانت العجلتان الخلفيتان مفصولتين عن محاورهما، وغطاء المحرك- الواقع في مؤخرة السيارة- مرفوعا أيضاً، وعلى الجملة كان كل شيء معدا لعملية الإصلاح.

وقال جون بمبلز وهو يرقد على اللوح تحت السيارة:

- قرب المصباح مني يا بمبلز، نعم، هكذا اذكر أني وضعت ترسًا جديدًا ذات مرة في محور قديم، فتحطم بعد ساعات قليلة من الاستعمال.

فقال بمبلز:

أن صوت تحطم الترس يجعل الإنسان يضرس، ثم يشعر أن شيئًا ما تحته قد انفلت. ترى، ما الذي جعل هذا الترس يتحطم يا مستر شيكو!

فقال شيكو وهو يبدأ في العمل:

- لا أدرى أن هناك أشياء كثيرة لا يعرفها لإنسان عن خصائص المعدن، انظر مثلا إلى مصانع فورد، أنها تنتج السيارات بالمئات في اليوم الواحد، ولكنك تجد في كل مائة سيارة اثنتين أو ثلاثة رديئة جدا مع أنها خرجت من نفس المصنع، وصنعت بنفس الآلات، ومن نفس المعادن!

والعجيب أن دائرتها لا تقتصر على جزء معين منها أو بضعة أجزاء، و إنما تشملها كلها، فإذا كل واحدة منها تنهار تماما بعد بضعة أسابيع أو أشهر من استعمالها. وفى الوقت نفسه تجد في كل مائة ثلاث أو أربع سيارات تمتاز بمتانة مذهلة، دون سبب معروف فتظل الواحدة منها سليمة تمامًا سنوات وسنوات دون أن يحتاج صاحبها إلى إصلاح شيء فيها.

فقال بمبلز:

- كانت لدى واحدة من هذا النوع، بعتها أخيرًا وأعتقد أنها ستظل سليمة سنوات عديدة، واذكر أنى لم أصرف عليها مليمًا طيلة السنوات الثلاث التي ظلت فيها ملكًا لي.

فقال جون:

- أن المعدن عنصر عجيب، ويخيل لي أنه يتعب أحيانًا.. حسنا. قرب المصباح نحو الجانب الأيسر، أعلى قليلا. والآن ناولني المفتاح الكبير.

وقال بمبلز بعد برهة من الصمت:

- أرجو أن تتمكن من تسييرها اليوم، لأني أريد أن أقضي ليلة أخرى نائمًا على مقعد غير مريح.

فأرسل جون ثيكو ضحكة قصيرة، وقال:

- أرأيت في حياتك أخاصًا أشد جنونًا من أصحابنا هؤلاء عندما اضطررنا للعودة بعد تحطم الترس. أن منبرهم عندئذ ليظن أنني كسرت الترس عن عمد لكي يقضوا الليل عندنا! ويبدو أنهم ظنوا هذا أيضاً، ومن ثم راحوا يصبون غضبهم على المسكينة أليس طيلة المساء وكأنما هي المسئولة عما حدث. والواضح أن الناس بوجه عام لا يحبون أن يعوقهم شيء أثناء السفر.

وهز بمبلز كتفيه وقال:

- أيا كان الأمر فقد ناموا في أسرتنا، فلماذا يضجون بالشكوى! أن الذين من حقهم أن يتذمروا، هم أنت وأنا أليس نورما، لأننا أمضينا ليلنا نائمين على المقاعد. وأعتقد أن أسرة بريكارد كانت أشدهم تذمرًا وضجيجًا، ولست أعنى الفتاة ميلدرد، وإنما أعنى والديها العجوزين. أن والدها العجوز يظن

أننا نريد أن نسرقه، ولهذا لا يكف عن تذكيري بأنه رئيس شركة أو هيئة أو ما لست أدري ماذا، أنه سيعرف كيف يجعلنا نندم على اقترفنا في حقه وقد نام هو وزوجته في سريرك يا سيدي، فأين نامت إذن ابنتهما ميلدرد؟

فقال جون:

- أظن على المتكأ، أو ربما مع أبويها. أما صاحبنا مندوب شركة ألعاب التسلية فقد نام في غرفة نورما.

فقال بمبلز:

- إنني أميل إلى هذا الشاب، فهو لم يتذمر أو يشكو، وإنما قال أن هناك ظروفًا لا يسع الإنسان فيها إلا أن يرضى بما هو مقدر عليه. أتعرف إلى أين تريد أسرة بريكارد أن تذهب؟ إلى المكسيك في رحلة تستغرق أسبوعين، وميلدرد سوف تقوم بالترجمة لهما لأنها درست الأسبانية في الجامعة.

وفجأة سطع الضوء الكهربائي في قاعة المطعم، فالتفت جون إليه وقال:

- لقد استيقظت أليس، هذا يعني أن وقت شرب القهوة قد أزف، هلم يا بمبلز، تعال وساعدني في تركيب هذا المحور، لقد أوشكنا على الفراغ.

وفيما كان ضوء الفجر يتسلل بالنور والدفء على المنطقة، قال بمبلز متسائلًا:

- ترى كم عدد المسافرين الذين ستحملهم سيارة شركة جريهاوند إلينا في الصباح؟

وفجأة استبدت به فكرة طارئة نبعت من شعوره الطيب نحو السيد شيكو. ومن ثم وجد نفسه يقول مترددًا:

مستر شيكو؟

وتوقف جون عن العمل برهة وقد أدرك ما في لهجة بمبلز من رجاء. ترى أي شيء يريد الغلام الآن؟ أجازة أم زيادة في الأجر!

وظل بمبلز صامتًا كأنما يعجز عن النطق بما يريد، فقال له جون:

- هه! ماذا ترد؟

- هل.. هل يمكن أن نتفق يا مستر شيكو - نتفق على ألا تناديني باسم بمبلز مرة أخرى؟

فارتسمت أمارات الاندهاش برهة على وجه جون، ولكنه لم يلبث أن استدار بوجهه إلى عمله ثم قال ببطء

- وما هو اسمك الحقيقي إذن!

- ادوارد كارسون، وأمت بصلة القرابة للسناتور كيت جارسون، وقد كان زملائي في المدرسة الابتدائية يسمونني باسم قريبي هذا، أي كيت.

وكان يتحدث بصوت هادئ، ولكن صدره كان رتفع و ينخفض بسرعة، وأنفاسه تترج بصوت مسموع.

وقال جون وهو يثبت المحور الأخير في الترس:

- حسنا! والآن، جهز الشحم والزيت.

وأسرع بمبلز إلى الجراج، ثم لم يلبث أن عاد بعلب الشحم وبخرطوم الزيت. وبعد أن فرغ الاثنان من هذه العملية، قال جون للغلام:

- كيت، نظف يديك وانظر هل أعدت أليس القوم. أرجوك وسار بمبلز في هدوء نحو باب قاعة الطعام، وقبل أن يصل إليه، وقف تحت سنديانة وهو يحس بدفء البهجة يسرى في دمائه.

والتفت فجأة نحو جون الذي كان قد بدأ يخرج من تحت السيارة، ثم قال في صوت هامس.

- بارك الله فيك يا جون، أنك لرجل طيب القلب حقًّا.

□□□

الفصل الثالث

اليس شيكو

عندما أطل قرص الشمس من وراء قمم الجبال في الشرق، جون شيكو واقفًا بجانب السيارة، ومسح القدر عن وجهه و يديه، ثم تقدم نحو باب مقعد القيادة وأدار مفتاح المحرك، ثم ضغط براحة يده على صمام «المارش»، فصدر أزيز خفيف و إذا بالمحرك يلتقط الشرارة الكهربائية فيدور، وضغط جون على صمام البنزين قليلا قليلا، وارتفع في الجو هدير المحرك برهة. ثم رفع يده وتركه يدور برتابة وتنظيم، ونظر إلى العجلات الخلفية المرفوعة عن الأرض وهى تدور في الهواء، ثم تنهد في ارتياح وهو يسمع حركة المحرك الرتيبة المنغمة.

وفى الوقت نفسه، تقدمت اليس شيكو - والتعب يبدو على وجهها بسبب نومها على المقعد طيلة الليل - وفتحت باب قاعة الطعام، ووقفت بره ة تنظر إلى السيارة المتألقة في ضوء الشمس، وتنصت إلى هدير المحرك، وترقب العجلات الخلفية وهى تدور في الهواء، ثم عادت إلى مكانها وراء طاولة الخدمة، وأغلقت صمام الموقد الذي كان إبريق القهوة فوقه، ثم مسحت سطح المائدة بالمنشفة نصف المبللة، وهنا لاحظت أن جانبًا من كعكة جوز الهند الموضوعة في الوعاء الزجاجي قد اقتطع أثناء الليل.

ودخل بمبلز ورائحة الشحم والوقود تفوح منه، وجلس على أحد المقاعد المستديرة المثبتة أمام طاولة الخدمة، وقال باسمًا:

- لقد فرغنا من إصلاحها والحمد لله.

فقالت أليس في تهكم:

- فرغتم؟ أنت ومن؟

- أوه. أعني السيد شيكو طبعا. لقد قام بكل النواحي الفنية في عملية الإصلاح. حسنًا، أرجو أن تعطيني الآن قدحًا من القهوة وقطعة من كعكة جوز الهند.

فقالت وهي تزيح خصلة من الشعر عن عينيها:

- لقد أخذت جزءًا منها أثناء الليل، وهذا يكفي.

- لقد أخذت جزءًا منها أثناء الليل، وهذا يكفي.

- أضيفي ثمن ما أخذته في قائمة حسابي، أنني أدفع ثمن ما آكله هنا. أليس أليس كذلك؟

- نعم، ولكن لماذا لا تكف قليلا عن آكل الحلوى طيلة النهار؟

أراهن أن إفراطك في تناول الحلوى هو السبب في كل هذه البثور التي تملأ وجهك. لماذا لا تريح معدتك منها قليلًا؟

فنظر بمبلز إلى أصابعه التي تحمل آثار العمل، ثم قال:

- أن الحلوى من الأطعمة التي تزود الإنسان بالكثير من الطاقة الحرارية والنشاط والرجل الذي يعمل كثيرًا يحتاج دائمًا إلى مثل هذا النوع من الأطعمة، ولهذا فأنها تقدم للعمال في الساعة الثالثة بعد الظهر، أي عندما تبدأ طاقة النشاط في الهبوط. وأنا أعتقد يا مسز شيكو أنك في حاجة إلى طعام من هذا النوع اليوم فردت عليه بجفاء قائلةً:

- أن حاجتي إلى طعام كهذا مثل حاجتك إلى. . .

ولم تتم الجملة، وتركته يفهم منها ما يريد، ثم صبت بعض القهوة وبعض اللبن في قدح كبير، ودفعت به إلى بمبلز عبر طاولة الخدمة. ونظر الغلام برهة في شرود ذهني إلى صورة الفتاة العارية المرسومة على لوحة إعلان بالقرب من جهاز الموسيقى والأغاني، ثم وضع في قدحه أربع ملاعق صغيرة من السكر وراح يقلبها، وهو يقول بإصرار:

- أريد قطعة من كعكة جوز الهند.

- آه، حسنا، أنت وشأنك، وأخشى أن تصاب بمرض البول السكري يومًا.

واختلس بمبلز نظرة إلى قوام أليس الجميل، ثم أشاح بوجهه في سرعة قبل أن تلمحه أليس، وأخيرًا قال وهو يلتهم قطعة من الكعكة المقدَّمة إليه:

- ألم يستيقظ هؤلاء الناس بعد؟

- لا لا، ولكني سمعتهم يتحركون في غرفاتهم، يبدو أن أحدهم قد استعمل الماء الساخن الموجود في الخزان.

- لابد أنها ميلدرد.

- ماذا؟

- أعني الفتاة، لعلها استحمت بهذا الماء.

فحدقت النظر في وجهه وقالت بحزم:

- ركز تفكيرك في طعامك الموفور بالطاقة الحرارية ولا تشغل نفسك بأمور أخرى!

- أوه، إنني لم أقصد شيئًا ما، أن في هذه الكعكة ذبابة.

وحملقت السيدة شيك وفي صحته، فوجدت لدهشتها ذبابة تتلوى، فغمغمت قائلةً:

- عجبًا!

- أنها لا تزال ترفس.

وتناولت السيدة صحن الكعكة والقت بما فيه في صندوق القمامة وراءها، ثم نفضت يديها وتلفت حولها كأنما تبحث عن المنقذ الذي جاءت منه الذبابة.

وقال بمبلز:

-إذا عن قطعة كعكتي؟

-لسوف أعطيك قطعة أخرى بدلا عنها، لست أدرى لماذا أنت الذي يسقط الذباب في طعامك؟!

- لأني سعيد الحظ دائماً.

- ماذا؟

- أقول لأنني. . .

فقالت وقد بدأ توترها العصبي يزداد:

- سمعت ما قلت، ويحسن أن تحذر في أوالك وإلا وجدت نفسك خارجًا من هنا بأسرع مما ينطلق الخائف من النار العالقة بملابسه. فأنا لا يهمني إن كنت ميكانيكيا بارعًا م لا، وإنما أنت في نظري مجرد غلام ثرثار.. دميم الوجه.

وكان بمبلز يحنى رأسه أمام غضبها المتزايد وهو مندهش لهذه الثورة النفسية المفاجئة، وأخيرًا قال مضطرباً:

- إنني لم أقل شيئًا، ألا يستطيع الإنسان أن يمزح قليلًا؟

وأدركت أليس أنها بلغت من الناحية النفسية هذه النقطة التي قد تنطلق بعدها في ثورة عصبية رهيبة تشمل كل كائن حي حولها، أو أن تتمالك نفسها وتخفف من حدة توترها، وتعود إلى الهدوء تدريجيًا. وأخذ عقلها يحلل الموقف بسرعة.

إن زوجها أيضًا لم يقض ليلة مريحة، وقد بذل جهدًا عنيفًا لإصلاح السيارة، وأن عليه أن يمضي بها في الموعد المحدد بعد وصول سيارة شركة جريهاوند، فإذا هي أثارت ضجة لا مبرر لها، فأنه قد يثور أيضا ويضربها.

وقد ضربها ذات مرة، ولم تكن الضربة عنيفة، وإنما كانت من القوة بحيث ظنت أنها ستقتلها. ثم هناك الخوف الذي لا يفارقها أبداً، الخوف من أن يهجرها جون ذات يوم. لقد عاش مع نساء كثيرات وهجرنا.

ولكنها لا تعرف كم عددهن، لأنه لم يتحدث عنهن أبداً. ولكن رجلًا له مثل جاذبيته لابد وأن يكون قد عرف في حياته نساء كثيرات. لقد خطر لها هذا كله في لحظة خاطفة، قررت بعدها أن تهدئ من ثائرتها، وأن تتمالك أعصابها وسرعان ما لانت ملامح وجهها، فتناولت السكين وقدمت لبمبلز قطعة كبيرة من الكعك، وهي تقول في شبه اعتذار:

- أن أعصابنا جميعًا متوترة اليوم.

فرفع بمبلز عينيه إليها بسرعة، ولمح بعض تجاعيد السن على عنقها، ولاحظ غلظة أجفانها، ورأى يديها وقد فقدتا طراوتهما وليونة أصابعها وأحس بالأسف من أجلها. لقد أدرك فجأة أن شبابها ولى، والشباب في رأيه هو الشيء الوحيد المهم الحياة، فإذا ضاع، ضاعت معه الحياة. لقد نال في ذلك الصباح نصرًا عظيمًا مع جون، وها هو ذا الآن يرى ما

يبـدو على أليس من ضعف وتردد فلماذا لا ينتزع نصرًا آخر؟ وعندئذ قال:

- لقد أكد لي السيد شيكو أنه لن يناديني باسم بمبلز مرة أخرى.

- لماذا؟

- لأني طلبـت منه ألا يناديني بهذا الاسـم. أنني أدعـى ادوارد، وكانوا في المدرسة يسمونني كيت، أي باسم قريبي السناتور كيت كارسون.

- وهل يناديك جون باسم كيت؟

- نعم.

ولم تفهـم أليس في الواقع ماذا يقصد بمبلز. وكانت في الوقت نفسـه قد سـمعت حركة في غرفة النوم وراءها، سـمعت وقع أقـدام وأصوات حديثة خافتة. لوما أصبحت الآن شاعرة بوجود هؤلاء الغرباء، أحسـت بمزيد من إميل إلى بمبلز؛ لأنه ليس بالنسبة إليها غريباً. ومن ثم قالت:

- حسنًا، سوف أناديك باسمك.

وكانت الشمس المشرقة قد بدأت في خلال هذه الفترة تغيم وراء سحب متكاثفة بسرعة، وفجأة قصف الرعد من بعيد، فمضى بمبلز إلى الباب وفتحه وأطل برأسـه إلى الخارج، ثم لم يلبـث أن تراجع بسرعة حين وجد الأمطار قد بدأت تنهمر بغزارة متزايدة. وقبل أن يغلق الباب لمح جونوهو يحتمي من المطر المفاجئ داخل السيارة التي كانـت عجلاتها الخلفية لا تزال تدور في الهواء، ثم رآه وهو يثب منها ويسرع إلى قاعة المطعم، فبادر هو - أي بمبلز - إلى فتـح مصراعي الباب لجون الذي مرق منهما مسرعاً، ولكن ملابس العمل كانت قد تبللت رغم المسافة القصيرة الواقعة بين السيارة والباب.

وقال جون وهو ينفض بعض قطرات المطر عن ملابسه:

- يا إلهي، أنها لأمطار غزيرة مفاجئة.

وحجب جدار المطر الرمادي منظر الجبال البعيدة، وملأ المكان بضوء معدني قائم، وأثقل وأوراق الزهور فتحت تحت وطأته، ولم تلبث الأرض أن تشبعت به، فأخذ الفائض منه يجرى في جداول صغيرة متشعبة إلى الأماكن المنخفضة ليتجمع فيها و يصنع بركا صغيرة، وظل الرعد يقصف بشدة فوق سقف قاعة الطعام في ريبلز كونر.

وكان جون قد جلس إلى مقعد بالقرب من إحدى النوافذ، وراح ينظر إلى وابل المطر المنهمر، وهو يشرب القهوة الممزوجة باللبن ويمضغ قطعةً من فطير جوز الهند. ولم تلبث نورما أن أقبلت وراحت تغسل الأطباق القليلة في الحض الصغير النظيف الواقع وراء طاولة الخدمة.

وقال جون لها:

- أتسمحين لي بقدح قهوة آخر؟

فتقدمت نحوه من الجانب القريب من طاولة الخدمة، وفيما هي تقدم إليه قدح القهوة. ارتعدت يدها وانسكب قليل منها في الصحن، فتناول جون فوطة من الورق الخفيف وأزال بها القطرات المسكوبة وهو يقول للفتاة المضطربة في رفق:

- أنك لم تنال كفايتك من الراحة الليلة؟ أليس كذلك؟

- وكان وجه الفتاة شاحبًا يبدو عليه الارهاق، وثوبها مكرمشًا، وترتسم عليها هذه السمات التي تنم على أنها ستفقد شبابها قبل الأوان، وقد أجابت على جون قائلة:

لم أستطع النوم كثيرًا هذه الليلة، حاولت أن أنام على الأرض فلم أستطع.

- حسنا، سنبذل الجهد حتى لا يتكرر ما حدث الليلة. كان ينبغي أن استاجر سيارة لتمضي إلى سان سبيدرو.

وقالت أليس وقد بدأت أعصابها تتوتر مرة أخرى:

- أنني لا أدرى لماذا أصررت على السماح لهم بالنوم في أسرتنا؟ هل كانوا هم الذين سيقومون بالعمل هنا اليوم؟ أما كان يكفى أن يناموا هم على المقاعد؟

فقال جون بهدوء:

- آه، فاتتني هذه الحقيقة.

-لم يهمك كثيرًا أن تعطى سرير زوجتك لينام عليه الغرباء. ولعلك لن تتردد في أن تعطيه للغير في أي وقت آخر.

وشعرت أليس أن زمام أعصابها يوشك أن يفلت من يديها مرة أخرى، وأن نيران الغضب تندلع في صدرها. ولم تكن هي نريد أن تفقد السيطرة على نفسها حتى لا تفقد كل شئ في يومها ذاك.

وفى هذه اللحظات كان المطر ينهمر على سقف المطعم المنحدر في الجوانب المصنوعة من الآجرّ، وكانت نقراته على السقف تزداد لحظة بعد أخرى. هذا وجون جالس يتأمله من وراء النافذة وقد ارتسمت على شفيته هذه الابتسامة الخفيفة الشاحبة التي تخشاها أليس. كانت تعرف: بالتجربة، أنه حين يبتسم هكذا، فهذا يعنى أنه ينظر إليها على أنها «عينة» من النساء..

على أنها امرأة غاضبة بين ملايين النساء اللائي يغضبن كل يوم، واللائي ينبغي أن يكن موضع الدراسة والتحليل والتسلية. وكانت تعرف أيضًا أن الفارق بينها وبينه كبير في النظر إلى الأمور. فبينما هو يملأ عليها حياتها ويحجب ويحجب عنها كلَّ شيء عداه، كانت هي - كما تحس - لا تحجب عنه شيئًا. أنها تشعر أنه لا يراها فقط، وإنما يرى خلالها، ويرى ما حولها، وأنها لتذكر ما شعرت به من فزع حينما ضربها أول مرة، أنها لم تفرغ من الضربة نفسها، بل على النقيض، لقد شعرت يدها بالرضا والابتهاج والإثارة العاطفية، وإنما الذي أفزعها حقًا أن جون ضربها وكأنما هو يسحق حشرة صغيرة لا قيمة لها. أنه لم يهتم كثيرًا بعد ذلك، بل أنه لم يكن غاضبًا جدًا حين ضربها. وإنما كان فقط متوتر الأعصاب، وكأنما قد أراد أن يقول لها «اسكتي». ولم تكن أليس تريد في ذلك الحين إلا أن تجذب انتباهه إليها.

كما أرادت الآن. ولكنها أدركت من نظرات عينيه أنه انفلت منها. وأخيرًا قالت بصوت متردد:

- لقد جاهدت في تأثيث غرفة نوم جميلة لنا.. غرفة بسجادة، ومتكأ، وستائر، ومقاعد وسرير كبير، ثم إذا بك تقدمها هكذا ببساطة إلى مجموعة من الغرباء لينامو فيها، هذا بينما تترك زوجتك تقضي الليل كله على مقعد!

ورفع جون عينيه إلى نورما وأقل:

- نورما، هاتي قدح كبير قهوة آخر، وأكثري من اللبن فيه أرجوك وأحست أليس بالغضب يفور في نفسها، ولكن جون التفت إليها قد تغيرت نظرته مرة أخرى، مما جعلها تشعر أنه في هذه المرة يراها حقاً، وفجأة ابتسم وقال برفق:

أن ما حدث في الليلة الماضية لا يضيرك، فإنه سيضاعف متعة النوم في الفراش هذه الليلة.

وكتمت أنفاسها فجأة، وغمرتها موجة حارة جعلت غضبها يتحول فجأة إلى رغبة جنسية، فابتسمت في عينيه، ولعقت شفتها وقالت هامسة بصوت يسيل رقة ونعومة.

- يا خبيث!!

ثم تنهدت بعمق وأردفت قائلة:

- أتريد بيضًا؟

- نعم، بيضتان مسلوقتان.

- تحب أن يكون معهما كمية من السجق!

- لا، مجرد قطعة من الخبز، وجانب من كعكة التفاح.

وقالت أليس وهي تقدم هذه الأشياء:

- لماذا لم يخرجوا بعد؟ أنني أريد الذهاب إلى الحمام.

فقال جون:

- يبدو من تحركاتهم في الداخل أنهم على وشك الخروج.

وكانت حركة النزلاء في غرف النوم مسموعة بوضوح، فقد سمع الجميع في الخارج، صوت باب يفتح في الداخل، ثم صوت سيدة، وهي تقول بحدةٍ:

- ما هذا؟ كان يجب أن تنقر على الباب.

ثم صوت رجل يجيب:

- أنني آسف يا سيدتي، أن المنفذ الآخر للخروج من غرفتي هو النافذة.

- ثم صوت رجل آخر يقول بلهجة تنمُّ عن السلطة والنفوذ:

- ولكن هذا لم يكن يمنعك من الطرق على الباب قبل أن تفتحه يا صاحبي، آه، هل أصيبت قدمك بشيء؟

- نعم.

ولم يلبث الباب الواقع وراء طاولة الخدمة أن انفتح وظهر منه رجل قصير راح يقبل على قاعة الطعام، وكان مرتديًا بذلة كاملة، وقميصًا بني اللون من النوع الذي يرتديه الأشخاص الكثير والسفر والتنقل، والذي يسمى « قميص الألف ميل » لأنه يتحمل الأتربة والغبار، ولهذا السبب نفسه كان يرتدى بذلة من اللون المعروف باسم «الملح والفلفل».

وكان وجهه حاد الملامح، متألق العينين، على شفته العليا شارب كالدودة السوداء تبدو - عندما يتحدث - كأنها تزحف! وكان في جملته يبدو فطيناً، لطيفاً، على شيء من الوداعة التي لا تخلو من الثقة بالنفس. وقد قال هذا الرجل وهو يتقدم في غرفة الطعام:

- طاب صباحكم جميعًا، أنني لا أدرى أين نمتم؟ وأراهن أنكم قضيتم الليل جالسين.

فقالت أليس بمرارة:

- وهذا ما حدث فعلًا.

وأسرع جون يقول بتلطف:

- حسنًا، حسنا، لسوف نعوض تعبنا الليلة بالنوم مبكرًا في هذا المساء.

- هل أصلحت السيارة؟ أترى أنه من الممكن السفر في هذا المطر؟

- بكل تأكيد.

وعاد الرجل يسير في القاعة وهو يعرج قليلًا حتى جلس في أقرب مقعد إليه وأسرعت نورما تقدم له قدح ماء وأدوات الطعام والمنشفة، ثم تقول:

- أتريد بيضًا؟

- نعم، بيضا مقليا، وسجقا، ورقائق خبز بالزبد، ولا تنسى أن تكثري من كمية الزبد عليها.

ثم رفع قدمه قابلا وراح يتأملها في ألم وتوجع، وعندئذ قال له جون:

- هل أصبت بالتواء فيها؟

وفى تلك اللحظة، فتح الباب فتحة أخرى، وخرج من مثابة النوم رجل متوسط الطول، يضع نظارة على عينيه، ويرتدى ملابسه بعناية ملحوظة، وتبدو عليه سمات الوقار والاعتداد بالنفس. وكان كل شيء فيه ينم على أنه من رجال الأعمال. وبدون أن يحيى أحداً. قال:

-أن السيدة بريكارد، زوجتي تريد بيضًا مقليًا، ورقائق خبز بالمربى، أما ابنتي المس بريكارد فهي لا تريد غير كوب من عصير البرتقال وقدح من القهوة، أما أنا فأريد طبق كريمة بالمكسرات، وبيضًا مقلياً. ورقائق خبز بالزبد، وقهوة بوستون، أي قهوة نصفها لبن.. يمكنكم إحضار هذا كله إلينا على صحفة كبيرة وعندئذ قالت أليس له في غضب وحدة:

- أننا لا نقدم الطعام إلى أحد بهذه الطريقة، يحسن أن تأتوا وتتناولوا طعامكم هنا، على أحدى الموائد.

فنظر السيد بريكارد إليها ببرود وقال:

- لقد احتجزنا هنا رغما عنا، وهذا يعنى ضياع يوم كامل بلا أية فائدة. وإذا كانت السيارة قد تعطلت، فلست أنا المسئول عن ذلك. وأن أقل

مـا يجب أن تفعلوه لنـا هو أن تأتوا بالطعـام إلينا في غرفة النـوم، أن زوجي تشـعر بالتعب، ولم أتعود أنا على الجلوس في مقاعد من هذا النوع السـوقي، وكذلك الحال مع السـيدة بريكارد.

فأحسّت السيدة أليس رأسها كما تفعل البقرة الغاضبة وقالت:

- اسمع، إنني أريد الذهاب إلى الحمام لأغسـل وجهي ولكنكم تعترضون سبيلي.

فلمس السيد بريكارد نظارته بحركة عصبيـة ثم قال:

- آه، فهمت.

ثمّ تلفت حوله وقد سرى في جسـمه إحسـاس بعلم الثقـة والاطمئنان، وكان السيد بريكارد فعلًا من رجال الأعمال، ورئيس شركة متوسطة الحال، ولم يحدث أبداً أو وجد نفسـه وحيدًا في أي موقف، فإنه يشترك في العمل مع مجموعة من رجال الأعمال أمثاله، نفس التفكير، ونفس النظرة إلى الحياة، وهو يتناول عادة طعام الغذاء مثله في ناد يضم أعضاء مثله، وهو يقضي سـهرات مع أشـخاص من طبقته، ومن مسـتواه الفكري، من الوسط الذي يعمل فيه. وعـلى الجملة فهـو أينما ذهب لا يكون وحيداً، أو فـرداً، وإنما هو وحدة في مجموعة يتحرك أفرادها معا، ويفكرون معا، ويعملون معا، ويدينون بنفس المذهب السـياسي، وبنفـس العقيدة الدينيـة، ولم يحدث بطبيعـة الحال أن تعرضت آراؤه للنقد أو التجريح لأنه يشملها من المجموعة التي يعيش فيها، أنـه يقرأ الصحـف التي يصدرها حزبه، والكتب التـي نختارها لجنة ثقافية تعرف ميوله، وهو يكره الأجانب والبلاد الأجنبية لأنه يجد من العسـير عليه أن يعرف مكانه من هذه البلاد وسكانها.

وهو أيضًا لا يفكر في الخروج على مجموعته، إنه حقًا يجب أن يصبح في

موضع الرئاسة منها يوماً، ولكن دون أن يخرج عينها. وإذا ذهب إلى مسرح استعراضي حيث كئوس الخمر المترعة والفتيات العاريات تمامًا على المسرح، فإنه يضحك عاليًا ويصفق طويلاً. ولكن لا يجب أن ينسى أن المسرح في هذه الليلة يكون ممتلئًا بخمسمائة رجل من نوع السيد بريكارد.

وها هو الآن، بعد أن سمع كلمات السيدة أليس، يتلفت حوله في حيرة وقلق بعد أن وجد نفسه وحيداً، ليس بجانبه آخر. وتركزت نظراته برهة على الرجل القصير ذي البدلة الرمادية، وأخيرًا هز كتفيه وهو يشعر بالكراهية لهؤلاء الناس.

ولكن هذه السيدة ذات اللسان الحاد تريد أن تغسل وجهها في الحمام. ومعنى هذا أنه لا حيلة له في الأمر. وأن عليه أن يخرج مع زوجته وابنته إلى قاعة الطعام ولكن السيد بريكارد في أعماق نفسه وحقيقة أمره ليس هكذا حقاً. لقد حدث أن أعطى صوته ذات يوم لمرشح لا بدين بمذهبه السياسي، وهو النائب أيوجين ديبز.

ولكن هذا حدث منذ أمد بعيد وحقيقة الأمر أن كل واحد في مجموعته يراقب الآخر، ومن ثم فإن أي تغيير في تصرف أحدهم يعرف فوراً، ويوضع على بساط البحث والمناقشة، فإذا تكرر هذا التصرف المغاير الخارج عن قواعد المجموعة وتقاليدها، فإن صاحب هذا التصرف سيجد نفسه منبوذا لا يقبل أحد أن يتعامل معه. ومقابل هذا فإن الذي يسير في ركب المجموعة، من حقه أن يتمتع بحمايتها له وهذا ما يفعله السيد ريكارد.

لقد تخلى عن حريته، ثم نسى كل شيء عنها. وهو حين يتذكر تصويته في جانب أيوجين ديبز يدرك أنه لم يفعل هذا إلا بدافع من طيش الشباب، لقد صحبه جماعة من أنصار أيوجين إلى مسكن إحدى الغواني المشهورات، وهناك سكر معهم وقد أراد أن يثبت لهم أنه لا يقل عنهم شبابًا وحيوية

وإقبالًا على الحياة. وبعد أن أمضى الليل مع الغانية الحسناء، أعطى صوته لأيوجين.

وأنه يبتسم في استهتار كلما طافت به هذه الذكرى من ذكريات الشباب: ولكنه يتيم إطلاقًا كلما تذكر ابنته ميلدرد وتصرفاتها كفتاة عصرية متحررة.

أنها تقضي أوقاتها مع أشخاص خطرين في الجامعة: مع طلبة وأساتذة يعتبرون من ذوى الآراء التقدمية الإلحادية. وأخطر من هذا أنها تأبى أن تناقش أباها في الشئون السياسية والمذاهب الاجتماعية، وكأنما تعرف سفًا أن المناقشة معه لا تجدي، وأنه لن يتزحزح عن آرائه أيا كانت قوة الحجج التي ستسوقها إليه لتأييد آرائها.

ولكن الشيءَ الوحيد الذي يخفف من شعوره بالقلق على ابنته هو أن الزواج وتبعاته سوف تهدئ من فورة آرائها وعنفها.

وكان السيد بريكارد في طريقه مع الأسرة إلى المكسيك عندما تعطلت السيارة. والواقع أنه كان ذاهبًا رغما عنه، وإنما أكرامًا لابنته فقط. ذلك أنه كان يكره بلاد المكسيك.

وقال أخيرًا وهو يتناول نظارته ويمسح زجاجها بمنديله:

- حسنا، سوف أخبر زوجتي وابنتي بالأمر، أننا لم نكن نعرف أننا أزعجناكم إلى هذا الحد.

وعاد السيد بريكارد إلى غرفة النوم، حيث أخذ يتحدث بصوت مسموع مع زوجته وابنته شارحًا لهما حقيقة الموقف. وفى هذه اللحظة، نهض الرجل القصير من مقعده وتقدم وهو يعرج بألم شديد إلى طاولة الخدمة، وتناول إناء السكر، وعاد به إلى مقعده حيث تهالك عليه وهو يتوجع.

وقالت نورما في عطف شديد:

- كان في مقدوري أن أحمل هذا الإناء إليك إذا شئت!

فقال لها وهو يحاول أن يبتسم:

- لم أرغب في إزعاجك.

- لا، لا أبدًا.

وأعاد جون قدح القهوة الفارغ إلى مكانه.

وقال بمبلز:

- أريد قطعة أخرى من كعكة جوز الهند هذه.

وقطعت أليس، وهي شاردة الذهن، شريحة كبيرة من الكعكة وقدمتها إليه وسجلت ثمنها في دفتر حسابه.

وقال جون للرجل القصير وهو ينظر إلى قدمه اليسرى في الحذاء الجلدي الفاخر:

- يبدو أن إصابة قدمك بالالتواء مؤلمة جدًّا.

- لقد سحق أصابع قدمي رجل بدين جدًا منذ يومين. أتحب أن ترى الإصابة؟ ها هي ذي.

وفي تلك اللحظة عاد السيد بريكارد وجلس إلى المائدة الثالثة.

بينما كان الرجل القصير يخلع حذاء قدمه اليسري، ثم نزع جوربه برفق ووضعه بجانبه، فظهرت قدمه مربوطة بضمادة عليها آثار دماء وقالت أليس بسرعة وجزع:

- أوه، لا داعي لأن ترينا الجرح. أن منظر الدم يخيفني جدًّا.

- يجب أن أغير الضمادة على كل حال.

وانكشفت قدمه أخيراً، فإذا الإصابة رهيبة دامية، و إذا الإصبع الكبيرة. وأصبعان بجانبها منسحقة تمامًا بحيث تمزق اللحم حولهما و بعد أن دنا بمبلز من الرجل، وتسللت نورما مقتربة منه - هتف جون قائلًا في قلق شديد:

- أرى أن أصابتك خطيرة.

- نعم، أنها خطيرة فعلا كما ترى.

يجب أن تعرضها على طبيب في أول فرصة.

فضحك الرجل القصير بابتهاج، وقال:

- هذا كل ما كنت أريد أن أسمعه.

ثم وضع طرف أصبع يده تحت شيء ما في قدمه، و إذا بغالب من البلاستيك ينفصل عن القدم المصابة، أو التي كانت تبدو مصابة، و إلا القدم في الواقع سليمة تمامًا، و إذا هو يمسك بيده مصابة، و إذا القدم في الواقع سليمة تمامًا، و إذا هو يمسك بيده قالبًا على هيئة نصف قدم من البلاستيك يمثل إصابة خطيرة في الأصابع الثلاثة. أما الدماء القانية فكانت نوعًا من الأصباغ التي تنساب بطريقة آلية في الغالب.

وضحك الرجل القصير عاليًا ثم قال:

- ما رأيكم في هذه الخدمة، أليست متقنة الصنع؟

ثم أردف قائلًا بعد أن اقترب السيد بريكارد منه في اندهاش:

- أنها من إنتاج شركة العاب التسلية، وتسمى «معجزة القدم المصابة».

وتناول من جنبه علبة مفرطحة وضع فيها «القدم» وقدمها إلى جون قائلًا:

- أرجو أن تقبل هذه هدية خالصة مني يا مستر شيكو، لأنك كنت معنًا لطيفًا واسع الصدر، أنني أقدمها لك مع تحيات آرنست مورتون مندوب شركة ألعاب التسلية والعجائب. ولهذه القدم ثلاثة أحجام. الأول بأصبع واحدة مصابة، والثاني بإصبعين، والثالث - كهذا الحجم- بثلاثة أصابع، وفي داخلها قطارة صغيرة ممتلئة بلون سائل أحمر يتقاطر على الضمادة ببطء.

وطريقة استعمالها موجودة داخل العلبة، وما عليك إلا أن تبللها قليلا بالماء الدافئ عند استعمالها أول مرة، وعندئذ تلتصق بالقدم الطبيعية وتبدو تماما كأنها هي.

وظل السيد بريكارد متبعًا حديث السيد آرنست هورتون وهو يتصور نفسه في ذات الوقت بين أصحابه وقد أخذ يخلع الحذاء ويتظاهر بالألم من أصابه قدمه. بل لقد راح يتمادى في الخيال فيتصور نفسه وهو مع أعضاء مجلس الشركة، بعد عودته من المكسيك، ثم وهو يحدثهم عن «قطاع الطرق» الذين أصابوا قدمه أثناء فرارهم من بطشه!

وفجأة قال لمندوب الشركة:

- كم ثمن القالب من هذه؟

فقال آرنست هورتون:

- دولارا ونصف، ولكنني أعتقد أن السعر سيرتفع بسرعة بعد أيام قليلة، لقد كان الثمن منذ أسبوع دولارا واحدًا.

فنمتم بريكارد وقد اتعت عيناه أعجابًا ودهشة:

- أحقًّا! أنه ارتفاع مشرف.

- في استطاعتي الآن أن أطلعك على دفتر الأسعار والطلبات التي تنهال على من أنحاء مختلفة.

فأومأ بريكاردو برأسه وقال:

- أريد أن أشترى واحدًا اليوم قبل أن يرتفع السعر غدا.

- سأبيعك ما تريد بعد أن أتناول طعام الإفطار. هل اعتقدت رقائق الخبز بالزبد يا آنسة؟

فقالت نورما وهى تعود إلى مكانها وراء طاولة الخدمة:

- أنها في الطريق إليك.

وعاد آرنست هورتون إلى بريكارد، وقال له:

- أن الشاب الذي اخترع هذه «القدم» ظفر بمكافأة ضخمة من الشركة.

- طبعا، طبعًا، وهو جدير بها. وأنت؟ لا شك أنك تربح كثيرًا من بيعها بالجملة.

- نعم.. وعدا هذا فإن لدى اثنين أو ثلاثا من أدوات التسلية الحديثة في حقيبة العينات. وهى ليست للبيع الآن، ولكن يمكن أن أعرضها عليكم وأثير بها الكثير من ضحككم.

وهنا قال السيد بريكارد:

- هل يمكن أن تبيعنى اليوم نصف دستة من هذه «الإقدام»؟

- أتريدها كلها من حجم «الأصابع الثلاثة».

- لا، لا، اثنان من كل حجم.

وكان المطـر لا يزال منهمـرًا بغزارة، وكانت أليس جالسـة بالقرب من النافذة، تنظر إليه بذهن شارد، وأمامها قدح قهوة، وفى حجرها صحن صغير به قطعة من كعكة جوز الهند.

وقال جون:

- سوف أعود إلى السيارة لأدير محركها بعض الوقت ولاطمأن على سلامة التروس مرة أخرى.

□□□

الفصل الرابع

صيحة الجسد

ما أن خرج آل بريكارد من غرفة النوم حتى قالت نورما بسرعة:

- أريد أن أصفف شعري وأغسل وجهي.

ثم أسرعت نحو الباب المؤدى إلى غرفات النوم، ولكن أليس لحقت بها وقالت لها ببرود:

-انتظري حتى أخرج أنا من الحمام.

ولم تجب نورما، وإنما سارت في طريقها عبر غرفة نوم السيد والسيدة شيكو، ودخلت غرفة نومها هي، وأغلقت الباب وراءها بالرتاج. ثم نظرت إلى سريرها المفرد الذي غادره أرنست هورتون دون أن يرتبه بعد أن نام عليه، وكانت حقيبته الخاصة بالعينات موضوعة بالقرب منه.

وكانت الغرفة ضيقة، ليس بها غير نافذة واحدة تؤدى إلى الممر الواقع وراء المطعم، وقد أسرعت نورما فأغلقت المصراع الخشبي لهذه النافذة، ثم مضت إلى مرآة منضدة الزينة وراحت تتأمل وجهها برهة، ثم تناولت من صدرها مفتاحًا صغيرًا كان مشبوكًا في داخل الثوب بدبوس، وفتحت قفل حقيبة ملابسها بعد أن جذبتها من تحت السرير، وما أن رفعت الغطاء حتى برزت صورة كلارك جيبل في إطار فضيٍّ، فرفعتها، ونظرت إلى التوقيع الذي في ذيل الصورة والذي يقول «مع أجمل الأماني: كلاك جيبل» وكانت الصورة والإطار والتوقيع تباع في متاجر مينة بثلاثة دولارات.

وبعد أن اطمأنت إلى حليها الخاصة، أعادتها إلى مكانها في الحقيبة، ثم أغلقتها، وأعادت المفتاح إلى مكانه من ثوبها، ثم مضت إلى المرآة مرة أخرى، وراحت تبتسم لنفسها وتكشف عن أسنانها المنظومة البيضاء، ثم داعبت خصلات شعرها وتركتها تتهدل على جبينها، وبعدئذ راحت على الضوء الرمادي المنساب من زجاج النافذة إلى الغرفة، تتأمل عينيها، وتجذب أطرافهما، ثم تعود وتبتسم ثم وقفت على طرفي قدميها، تلوح بيدها لجموع بشرية وهمية تحييها، ثم تمشط خصلات شعرها وترسم بقلم الحواجب حاجبيها، ثم تنضد متمهلة ثوبها وتقف أمام المرآة شبه عارية تتأمل كل لمحة من ملامح جسمها الشاب الملفوف، ثم تمضي في حركات رياضية لتجميل الساقين لأنها كانت قد قرأت عن فوائدها في مجلة سينمائية بقلم نجمة شهورة بجمال الساقين، ولو أنها عرفت الحقيقة، لعلمت أن النجمة المشهورة لها ساقان جميلتان حقاً، ولكنها لم تمارس تلك الرياضة أبداً، بل ولم تكتب ذلك المقال!

وفجأة سمعت طرقًا خفيفًا على الباب، ثم رأت المقبض يتحرك مع شيء من الضغط، كأنما يريد شخص ما أن يدخل، فأسرعت وارتدت ثوبها وحاولت أن تزيل الكحل عن حاجبيها، ولكنها استطاعت فقط أن تلطخ به جبينها، وأخيرًا فتحت الباب لتجد أمامها أرنست هورتون ينظر إليها وشاربه الدودى يبدو - وهو يبتسم- كأنما يزحف على شفته العليا.

قال معتذرًا:

- كنت أظن الغرفة خالية. لقد جئت لأخذ حقيبة العينات وأردف قائلا حين رأى نورما لا تفسح له الطريق ليدخل:

- لقد كنتم كرماء معنا، وأنا لا أريد أن أزيد مضايقتكم.

وتراخت أعصاب نورما قليلًا، وتراجعت إلى الوراء لتفسح له الطريق، ودخل هورتون الغرفة ومضى إلى السرير وقال هو يتناول الأغطية:

- كان ينبغي أن أرتب السرير قبل أن أغادر الغرفة، أنني آسف.

- حسنا، دعه كما هو، وسأقوم أنا بترتيبه.

- أوه، شكراً، أنك فتاة مهذبة، بل أنك ثم تنتظري حتى أعطيك البقشيش الذي وعدتك به. آه، أنني كما ترين أحسن ترتيب الأسرة.

فابتسمت نورما وقالت:

- نعم، نعم، هذا واضح.

فقال وهو ينحني على حقيبة العينات الضخمة:

- الآن وقد فرغنا من السرير، فهل تسمحين لي بفتح هذه الحقيبة، أنني أريد منها شيئًا.

- افعل ما يحلو لك، أنها حقيبتك على كل حال.

ورفع الحقيبة ووضعها على السرير، ثم فك أحزمتها الجلدية، وفتح قفلها، ورفع غطاءها ليكشف عن أشياء عجيبة مدهشة، فقد رأت نورما ألوانا وفنونا من ألعاب التسلية والدعاية: مشابك سحرية، ومناديل تتغير ألوانها، وسجائر تنفجر، ومفرقعات مغناطيسية، وصفافير ذات أصوات مضحكة، وقبعات من الورق الملون، وأزرار عجيبة الشكل.

وكان هورتون يتناول في تلك اللحظة ستة قوالب من «القدم المصابة» ويضعها في أكياسها الشفافة، واقتربت نورما منه بدافع من الفضول، وعندئذ لم تلبث نظراتها أن وقع على مجموعة من صور النجوم والكواكب.

وفتحت الفتاة عينيها في دهشـة بالغة وهى تـرى هذا النوع الجديد من الصـور، لقد رأتها صـورًا مصنوعة من الورق المقـوى بطريقة تجعل الوجه يبـدو طبيعيًا مسـتديرًا فيه عمق، وكأنمـا للصورة الأبعاد الثلاثـة المعروفة: الطول والعرض، والعمق.

وكانـت صورة معبودهـا كلارك جيبل هي الأولى من بـين هذه الصور العجيبـة، وقـد بلغ من اتقان صنعهـا وطرافتها أنها ظنـت، برهة، أن كلارك جيبل «بدمه ولحمه» يطل عليها باسمًا من داخل الحقيبة.

وتنهدت الفتاة في عمق، وبدأت أنفاسها تلهث وهى تنظر، كالمسحورة، إلى هـذه الصـورة التي لم تر لها مثيلًا من قبل، ثم إذا بها تتناولها وتحملق فيها بنظرات الإنسـان الذي لا يشعر بشيءٍ مما يدور حوله.

وراقبها أرنست هورتون برهة، حتى إذا تبين اهتمامها بالصورة، قال:

- أليست هذه الصورة رائعة؟ أنها اختراع حديث، ألا ترين كيف تشبه التمثال!

فأومأت نورما برأسها كأنما يعجز لسـانها عن النطق. وعاد أرنست يقول:

- أن هذا النوع من الصور سوف يكتسـح كل الأنواع الأخرى في خلال عـام واحد، أنه نوع لا يتأثـر بالرطوبة أو الماء أو الأحماض، ولا يغير اللون، وإنما يعيش مدى الحياة كما هو. والصورة كما ترين مصبوبة ومصنوعة مع الإطار حتى لا تنفصل عنه أبدًا.

ولم تتحـول نظرات نورما عن الصورة، ولما حاول أرنسـت أن يأخذها منها، تشبثت بها في استماتة ثم قالت بصوت خافت مبحوح:

- كم ثمنها؟

- أنها ليسـت للبيع، أنها مجرد عينة أعرضها على أصحاب المتاجر.

فعادت تقول وهى تشـدد قبضتها على الصـورة وتعض على نواجذها في حالة من التوتر العصبى الشـديد:

- كم ثمنها؟

فهز أرنسـت كتفيه وقال:

- حسـنا، أنها تسـاوى بالسـعر القطاعي دولارين، ولكنني أسـتطيع أن أقدمها إليك بدلًا من البقشيش، فما رأيك؟

فتألقت عيناها بالفرحة الطاغية، ثم قالت وهى ضع الصورة على صفحة خدها.

- شكرًا، شكرًا جزيلا يا سيدي.

- أنـني أرجـو أن تنـال هذه الصـورة الجديـدة مثل هـذا الإعجاب من أصحابها الممثلين، فإنني في الطريق إلى لوس انجلوس لأقضى أسبوعين.

فقالت نورما: وهى تخفى الصورة تحت أكوام ملابسـها الموضوعة في الحديقة:

- ومنها ستذهب إلى هوليود. أليس كذلك؟

- أوه، طبعـا، طبعًـا، فإن لي فيها أصدقاء كثيرين، كـما أنها المدينة التي تروج فيها مثل هذه المستحدثات. وأعتقد أنى سألقى فيها ما أرجو من نجاح، لاسيما أن لي زميلًا لي في الحرب، وهو يشتغل الآن في أحد الاستديوهات.

- في أي استديو يعمل صديقك هذا؟

فقال أرنست وهو يعيد العينات إلى الحقيبة ليغلقها:

- في أحد استديوهات مترو جولدوين ماير.

ولم يسـمع أرنسـت شهقة نورما وهى تقول بلهفة:

- وهل زرت صديقك في هذا الاستديو كثيرًا.

- نعم، أن ويلي، أعني صديقي، قد أعطاني تصريحًا أستطيع أن أدخل به إلى الاستديو كلما شئت. وأن صاحبي ويلي هذا الشاب محظوظ مع النساء والفتيات.

وبدأ الامتعاض على وجه نورما وهي تسمع الجزء الأخير من الحديث، ولكنها لم تلبث أن ابتسمت وقالت:

- هل يمكن أن تؤدي لي خدمة؟

- طبعا، طبعا، ماذا تريدين؟

- إذا أعطيتك خطابا للمستر جيبل، وحدث أن التقيت به في استديو شركة مترو، فهل يمكن أن تسلمه إليه؟

- ولكن من هو السيد جيبل؟

فقالت في حزم:

- السيد كلاك جيبل طبعا!

- أوه، نعم، أتعرفينه؟

فأجابت نورما في زهو:

- طبعا، أنني، ابنة خالته.

- آه، فهمت، لسوف أسلمه الخطاب حتما إذا التقيت به، ولكنني قد لا التقي به لسبب ما، فهلا يحسن أن ترسليه إليه بالبريد؟

فضاقت حدقتا عيني نورما وهي تقول:

- أنه عادة لا يتسلم كل الرسائل البريدية التي ترسل إليه، أن سكرتيرته الخاصة تتسلمها وتمزق الجزء الأكبر منها.

- عجبًا! لماذا؟

- بدافع الغيرة.

- حتى رسائل أقاربه؟

- نعم.

- هل قال لك هذا بنفسه؟

ولم يسع نورما إلا أن تتمادى في أكذوبتها فقالت:

- آه، طبعًا، طبعا. لقد ذهبت إلى هوليوود وعرضت على أدوار هامة، ولكن السيد جيبل نصحني قائلًا أن الأفضل أولًا أن أخوض الكثير من تجارب الحياة قبل أن أحترف التمثيل؛ لأن مواهب التمثيل لا تصقلها إلا التجارب والخبرات الكثيرة. وأنا الآن في فترة التجارب، وإني أجد الكثير من هذه التجارب في العمل بالمطاعم. نعم، إنَّ ابن خالتي على حق، وأنه لرجل عظيم نبيل كبير القلب أنني أعتبر السيد جيبل الضوء الذي تعيش فيه هوليوود كلها.

وأخفض أرنست هورتون عينيه عن وجه نورما وقد أدرك أن الفتاة توشك أن تفقد عقلها حبًا لذلك النجم السينمائي، وأن أرنست ليفكر في نوع هذا الحب العجيب الذي يملأ حياة فتاة كهذه بالنور والأمل!

وقال أخيرًا:

- لسوف أحمل إليه خطابك وأقول له أنه من ابنة خالتك.

فالتمعت في عيني نورما نظرة قلق ثم قالت:

- لا، أنني أريد أن أجعلها مفاجأة له، قل له فقط أنه خطاب من صديقة، ولا تقل له شيئا آخر أبدًا.

- لقد طلب مني السيد جيبل أن انتظر سنة أخرى لأني لازلت صغيرة السن. ولكنني بدأت أضيق بحياتي هذه، وأتوق إلى الحياة هناك، في هوليوود، في بيت من هذه البيوت الكبيرة الشبيهة بالقصور، ذات الستائر المخملية، والحدائق، وأحواض السباحة، والمقاعد الوثيرة، والواقع أني أشقت جدًا لصديقاتي العزيزات: بيتي دافيز، وأنجريد برجمان، وجوان فونتين وغيرهن. آه، يا لهن من صديقات عزيزات، وكم من ليال أمضيناها معا، وكم من أفلام قمنا فيها بالأدوار الرئيسية معاً، وكم ضحكنا من هواة جمع التوقيعات والعبارات الطريفة.

وهنا قاطعها أرنست هورتون قائلًا في دهشة مصطنعة:

- آوه، هل أفهم من هذا أنك اشتغلت بالتمثيل فترة ما؟

- نعم،طبعا، ولكنني كنت أحمل اسمًا آخر غير اسمي.

- وما هو ذلك الاسم؟

- لا أستطيع أن أخبرك، وأنك الآن الشخص الوحيد الذي يعرف كل هذه الحقائق عني هنا، فهل سنخبر أحدًا بما قلت لك؟

- لا، لا، مطلقا!

- هل ستحفظ سري؟

- بكل تأكيد، فقط سلميني الخطاب وأنا أسلمه بدوري له.

وهنا سمع الاثنان صوت أليس وهي تقول بحدة بعد أن وقفت بالباب:

- تسلم ماذا؟لمن؟

ثم طافت بنظراتها المفعمة بالشك والريبة على ملابس نورما، ثم تركزت على وجهها المضطرم احمرارًا، وأردفت قائلة بلهجةٍ لها دلالتها:

- ماذا تفعلان هنا في غرفة النوم؟

وانعقد لسان نورما من فرط الاضطراب والارتباك، وقال أرنست هورتون لأليس التي وقفت واضعة يديها على وسطها:

- كنت آخذ بعض الأشياء من حقيبة العينات، وقد طلبت مني أن أحمل لها خطابًا إلى صديقة في لوس انجلوس.

- ألها صديقة في لوس أنجلوس؟

- نعم، وأنا أعرف صديقتها هذه.

وهنا كان زمام الغضب قد أفلت تمامًا من أليس فصاحت قائلة:

- اسمع يا هذا، أنني لا أريد منك ومن أمثلك أن تعبثوا بالعاملات هنا.

فقال أرنست بلهجة احتجاج:

- أنني لم ألمسها، نعم، لم ألمسها!

- لم تلمسها؟ إذن ماذا تفعل معها هنا في غرفة النوم؟ انظر إلى وجهها؟ انظر كيف يبدو الاضطراب عليها؟

وارتعد صوت أليس بالانفعال، وتهدلت خصلات شعرها على وجهها، وبدت أمارات الانهيار العصبي تتضح على كل تصرفاتها وهي تصيح قائلة:

- أنني لا أقبل هذا الوضع هنا، لا أقبل أن تقوم أية علاقة مريبة بين زبائني وعاملاتي، أن هذا المكان نظيف، وسيبقى نظيفًا دائماً، أتفهم؟ ألا يكفي أننا تنازلنا لكم عن أسرتنا طلية الليل؟

فصاح أرنست قائلًا في احتجاج:

- قلت لك أنه لم يحدث بيننا شيء، ألا تفهمين؟

ولكن استنكار أرنست كان يرن في الأذن، من فرط اضطرابه، وهو أقرب إلى الاعتراف. أما نورما فقد وقفت مفتوحة الفم، تصدر عنها أصوات أنين وعويل خافتة.

وتقدمت ألي نحو نورما في ثورة رهيبة وصاحت وهى تجمع قبضة يدها اليمنى بعنف:

- اخرجي.. اخرجي من هنا، اخرجي أيتها الفاجرة من بيتي، اخرجي إلى العراء، و إلى الأمطار.

وظلت نورما تتراجع في فزع، ثم إذا ليس ترسل صيحة رهيبة، و إذا صوت جون شيكو يهتف بها وهو واقف بالباب:

- أليس... كفى!

وتوقفت أليس فجأة، وتخاذلت ذراعها، وتهدل فكاها، وتحول غضبها إلى فزع، وهى تحملق في وجهه، ثم إذا بها تتراجع بعيدًا عنه وتحاول أن تمرق من الباب إلى غرفة نومها وهى تهمس مرتعدة:

- أرجوك، لا تضربني، لا تضربني.

ولكن جون مد يده برفق وتناول ذراع أليس، ثم قادها إلى غرفة نومها وأغلق الباب الفاصل بين الغرفتين.

وكتم كل من آنست هورتون ونورما أنفاسهما، وهما يتوقعان أن يسمعا صيحات أليس عندما تنهال عليها لكمات زوجها.

ولكن جون كان في تلك اللحظة يساعد أليس على النوم في سريرها.

□□□

الفصل الخامس

همسات العاطفة

جلست برنيس بريكارد وابنتها ميلدرد وزوجها السيد بريكارد إلى المائدة الصغيرة الواقعة على يمين باب الدخول إلى قاعة الطعام. وكانت برنيس سيدة في منتصف العمر جميلة الوجه، بنفسجية العينين، تضع عليهما نظارة طبية دائمًا.

وكانت أنيقة في ملابسها، موفورة الجاذبية، عذبة السمات، تنم أمارات وجهها عن الطيبة المتناهية، وعن الميل الطبيعيّ إلى إسداء الخير للناس.

وكانت حياتها الزوجية بالنسبة إليها لطيبة هانئة، فهي تحب زوجها، وتعتقد أنها تعرف مواطن ضعفه، ونزواته ورغباته.

وكان أصدقاء برنيس وصديقاتها يعتبرونها من ألطف السيدات، بل ملاكا في النقاء والطهر وحب الخير للجميع، أما هي فكانت تقول أنها سعيدة الحظ في هذا الجانب من حياتها الخاص بالأصدقاء والصديقات، لأن القدر أنعم عليها بأخلص وأوفى وأحب الأصدقاء والصديقات في العالم كله.

وكان زوجها يحبها حبًا هائمًا.. يحب وسامتها، وإشراقة وجهها، ونظافتها الدائمة، وبراعتها في إدارة شئونه المنزلية، وطيبة قلبها التي تجعلها لا تشك في أمره عندما يزعم لها أنه أمضى ليلته في مناقشات طويلة مع أعضاء مجلس الإدارة، بينما يكون في الواقع قد أمضى ليلة حمراء!

أما ميلدرد فكانت فتاة جميلة، طويلة القامة، أطول من أبيها ببوصتين، وأطول من أمها بخمس بوصات، وقد ورثت عن الأم قصر النظر ولون العينين، ومن ثم كانت تستعمل نظارة طبية أيضًا كلما أرادت أن ترى شيئًا

ما بوضوح. وكان لها قوام رياضي أنيق، وساقان ملفوفتان قويتان، وصدر بارز، ولكنها لم ترث عن أمها البرود الجنسي، وإنما كانت على العكس، حارة العواطف، مشبوبة الإحساس، وقد مارست في حياتها الحب الجنسي مرتين عابرتين، وأصبحت تهفو إلى حب دائم من هذا النوع.

وكانت ميلدرد في هذا الصباح ترتدى «بلوزة» حريرية، و«جونة» مزخرفة بخطوط رباعية الشكل، وحذاء خفيفًا بلا كعب. وكانت هي ووالدها جالسين إلى المائدة الصغيرة بغرفة الطعام بالمطعم. ومعطف مسز بريكارد الفراء الأنيق معلق بعناية على مشجب بالقرب منها.

وكان السيد بريكارد هو الذي أشرف بنفسه على وضعه في هذا المكان القريب، لأنه كان يشعر بالفخر والزهو كلما رآه أمامه سواء كان معلقًا على مشجب أو على زوجته نفسها. وكان زهوه يتضاعف حين يرى نظرات الإعجاب، أو الحسد، تتألق في عيون النساء، وهن يرين هذا المعطف الأنيق المصنوع من فراء الثعالب السوداء، وهو نوع من الفراء نادر من جهة، ومرتفع الثمن جدًا من جهة أخرى.

وكان الثلاثة قد سمعوا، في جلستهم هذه، صيحة أليس العصبية الرهيبة التي أطلقتها في غرفة نوم نورما. وقد صدمهم ما نمت عليه تلك الصيحة من حيوانية وحقد وغضب، وجعلتهم يقتربون من بعضهم البعض في حيرة وارتباك. وكانت ميلدرد قد أشعلت سيجارة وهي تتجنب نظرات أمها اللائمة، والواقع أنها لم تكن تجرؤ على التدخين أمام أمها إلا في الستة شهور الأخيرة، أي بعد أن بلغت من العمر الواحدة والعشرين، أما أمام أبيها، فقد كانت تدخن وهي في السابعة عشرة!

وكان المطر عندئذ قد توقف عن الانهمار، ولم يعد ير في الخارج إلا القطرات المتساقطة من وفق السقف المنحدر لبناء الاستراحة، أو

من أغصان الشجر. أما الأرض فكانت موحلة مشبعة بالماء، وأعواد القمح الممتلئة بعصارة الربيع قد خارت وتمددت عل الأرض في أمواج ممتدة إلى مدى النظر. وكان ماء المطر قد راح يتجمع و ينطلق في جداول صغيرة سريعة و يملأ كل منطقة منخفضة في الحقول، و يرتفع في البرك الواقعة على جانبَيْ الطريق العام. بل و يرتفع منها وزحف على وجه الطريق نفسه.

ورأت صفحة السماء تصفو من الغيوم التي تزقت وتباعدت كتلها تاركة رقعًا واسعة من الصفحة الزرقاء المضيئة، بعضها صاف تماما، و بعضها لا يزال محجوبًا بغلائل من السحاب الرقيق. أما الهواء فقد سكن على الأرض تمامًا وشاعت فيه رائحة العشب المبلل والجذور العارية.

وفى تلك اللحظة كان بمبلز واقفا وراء طاولة الخدمة يحاول أن يحل محل السيدة شيكو ونورما في خدمة الزبائن. ولم يحدث أبدًا في حياته أن خطر بباله أنه سيقف من تلقاء نفسه هذا الموقف الكريم. لق كان يكره كعادته دائما مخدومية و يتمنى اليوم الذي يجمع فيه من المال ما يكفى للسفر إلى هوليود والإقامة بضعة أسابيع ريثما يجد فيها عملاً. ولكن ما حدث في ذلك الصباح كان لا يزال يرن في أذنيه وهو يقول له: «كيت» نظف يديك وانظر هل أعدت أليس القهوة لنا» أنها أعذب جملة سمعها في حياته كلها وهو من لم يرد أن يعرب عن اعترافه بجميل جون، وقد قدم منذ لحظات عصير البرتقال والقهوة لأسرة بريكارك، وها هو ذا يشرف على تجمير كسارت الخبز وقلى البيض في وقت واحد وكان جون قد قال له قبل أن ينصرف إلى غرفات النوم:

- لتأكل معنا بيضًا مقليا، فإن طريقة صنعه سهلة، وأنا أحبه جافًا بعض الشيء.

وأجاب بمبلز عليه قائلا:

- بكل تأكيد ياريس.

ثم وضع الإناء على النار، ثم كسر البيض في الزبد وتركه حتى بدأت رائحة احتراقه تتسلل إلى القاعة.

والواقع أنه في تلك اللحظات كان مشغولا باختلاس النظرات إلى ساقي ميلدرد حتى إلى ما فوق ركبتيها بقليل، وكان الثوب القصير في الجهة البعيدة عن نظراته قد اشتبك في جانب المقعد وترك جانبًا كبيرًا من فخذها عاريا دون أن تشعر، ولهذا قرر بمبلز أن يقوم بحركة التفات إلى ذلك الجانب العاري ليشبع عينيه دون أن يبدو في نظر الجميع وقحا. ورأى أن خير ما يمكن أن يفعله هو أن يضع على كتفه فوطة، وإن يلتفت إلى ذلك المكان، ثم يجعل الفوطة تسقط على الأرض، فينحني لالتقاطها، وهكذا يستطيع أن يستمتع بنظرة مختلفة ضخمة!

ولكن رائحة احتراق البيض والخبز كانت قد ملأت جو قاعة الطعام، وجعلت ميلدرد تنظر إلى بمبلز لترى ماذا دهاه، وكانت النظرة الأولى كافية لأن تعرف أن الفتى لا يكاد يستطيع أن ينتزع عينيه عن ساقيها، فقد أدركت الأمر، وحصلت جانب الثوب، وغطت بطرفه ركبتيها، وهكذا فشلت حركة الالتفات التي أراد بمبلز أن يقوم بها.

وأقبل جون بهدوء من غرفات النوم، وبعد أن تشمم الجو برهة، قال لبمبلز:

- أوه، يا الله، ماذا نفعل يا كيت؟

فقال بمبلز بقلق:

- أحاول أن أساعدكم.

فابتسم جون وقال:

- أوه، شكراً، ولكني أرى أنك تستطيع مساعدتنا في أي شيء إلا قلى البيض.

ثم مضى إلى إناء البيض المحترق، ورفعه عن النار، ومضى به إلى الحوض وفتح عليه صنبور الماء. وأخيرًا قال:

- اذهب يا كيت وحاول أن تدير محرك السيارة، ولكن حذار أن نجعلها تشرق بالبنزين إذا لم يدر المحرك السيارة، ولكن حذار أن تجعلها تشرق بالبنزين إذا لم يدر المحرك من الوهلة الأولى.

وتندما يدور دعه في حالة دوران هادئ بضع دقائق، ثم أسرع حركة الدوران قليلا قليلا حتى يسخن الموتور.

- هل انظر في مستودع الشحم والزيت بها لأرى هل هو ممتلئ.

- نعم،نعم، أنك تعرف عادة ما ينبغي عمله عند القيام بالرحلة في هذه الساعة.

ونسي بمبلز مسألة ساقي ميلرد. وهو يشعر بالابتهاج لهذا الثناء الذي يسبغه عليه جون. أما هذا فقد أردف قائلًا على سبيل الدعابة:

- لا أعتقد أن أحدًا سيسرق هذه السيارة، ولكن يحسن أن تحرص على مراقبتها على كلِّ حالٍ.

وضحك بمبلز عاليا لدعابة رئيسه، وبعد أن مضى إلى الخارج مختلا، قال جون للموجودين في قاعة الطعام:

- أن زوجتي تشعر ببعض التعب. وإني مستعد أن أقدم إليكم أية خدمة أيها السادة، فماذا تريدون، مزيدًا من القهوة؟ فقال السيد بريكارد:

نعم، وكان ذلك الفتى يحاول بقدر ما يستطيع أن يجد بعض البيض فاخرًا، وجدني أحب البيض المقلي غير الجاف.

فقال السيد بريكارد مستنكرًا:

- والمفهم أن يكون البيض طازجًا.

-أنه طازج تمامًا يا سيدتي، لقد أخرجته الآن من الثلاجة

فقال السيد بريكارد مستنكرًا:

- أنني لا أحب البيض المختزن في الثلاجات.

فقال جون:

- هذا ما لدينا فقط، أنني آسف، لا أستطيع أن أخدعك وهنا قالت السيدة بريكارد:

- وأنا أيضًا.

ونظر جون بإعجاب صريح إلى ساقي ميلدرد، ورفعت هذه عينيها إليه، وراحت نظراتهما تلتقي ببطء، ولم تلبث ميلدرد أن اضطرم وجهها خجلًا وهي ترى أمارات الإعجاب الشديد تطل من نظراته القوية النفاذة، وفجأة أحست برعدة تسري في جسمها كأنما لمست سلكًا كهربائيًا، ثم أشاحت بوجهها في ارتباك وقالت:

- أوه، أنني أريد مزيدًا من القهوة، و.. وقطعة من فطير الشليك أيضًا.

وهنا ارتفع في الخارج زفيف محرك السيارة، فأنصت جون إلى رتابة حركة وانتظام نغمته ثم قال راضيًا:

- عظيم جدًا.

وخرج أرنست هورتون في هدوء يكاد يقرب من الجلسة، من غرفات النوم. وأغلق الباب وراءه برفق، وتقدم إلى غرفة الطعام حيث وضع على مائدة السيد بريكارد أكياس القوالب الستة وهو يقول:

- هذه ستة قوالب.

فأخرج السيد بريكارد حافظة نقوده وتناول منها ورقة من فئة العشرين دولارا وقال:

- ألديك باقي هذه؟

- لا.

فقال السيد بريكارد لجون:

- الديك فئة هذه الورقة يا مستر شيكو؟

فحرك جون زرًا في آلة تسجيل النقد ثم نظر في الدرج وقال:

- يمكنني أن استبدلها بورقتين كل منهما من فئة العشرة دولارات.

وهنا قال أرنست هورتون:

- هذا يكفي، فإن لدى دولارا أعطيه للمستر بريكارد وآخذ إحدى الورقتين، لأن ثمن هذه القوالب الستة تسعة دولارات وتناولت السيد بريكارد أحد الأكياس وقالت:

- ما هذا؟

فانتزعه زوجها من يدها وقال بسرعة:

- لا تسألي عنها الآن.

- لماذا؟

- سوف أخبرك فيما بعد.

فالتمعت عيناها بالترقب، وقالت:

- أهي نوع من المفاجآت؟

- نعم، وعلى الفتيات الصغيرات ألا يحشرن أنوفهن فيما لا يعنيهن.

وكان السيد بريكارد يدلل زوجته عادة بقوله لها: يا «فتاتي الصغيرة».

وتراقص صوتها بالغبطة وقالت:

- ومتى سيسمح للفتيات الصغيرات برؤية هذه المفاجأة؟

فدس الأكياس في جيب معطفه الكبير، وهو يقول:

- في الوقت المناسب.

وكان يتصور منظرها عندما يعود ذات يوم وهو يعرج، ثم وهو يخلع الحذاء ويطلعها على «قدمه المصابة» ثم كيف يكون وقع المفاجأة أخيرًا.

ثم التفت إلى أرنست هورتون وقال:

- اسمع، لقد خطرت لي فكرة لعبة جديدة مسلية سوف أخبرك بها فيما بعد.

فقال أرنست بحماس:

- مرحى. أن هذا ما يجعل الحياة محتملة. فلولا هذه اللحظات من المرح التي يختطفها الإنسان بين الحين والآخر لمات غمًّا.

- نعم. نعم. هذا رأى ناضج. رأى ناضج تماما يا سيدي.

فقال أرنست وهو يضع ساقا على أخرى:

- أن انبثاق الأفكار الجديدة في الرأس لأمر عجيب. فقد يكون الإنسان

مسافرًا ومعه حقيبة ملابس عادية كما حدث لي ذات يوم، وإذا بفكرة جديدة تومض في ذهني وأنا أنظر إلى الحقيبة الموضوعة في مكانها على الرف الأعلى من المقصورة.

أن رجلا مثلي يقضي معظم وقته في السفر من مكان إلى آخر قد يحتاج في بعض الأحيان إلى بدلة سهرة لشهود بعض الحفلات الهامة التي لا غنى عن حضورها، ولكن هذه البدلة تحتاج إلى مساحة كبيرة في الحقيبة، رغم أن الإنسان قد لا يستعملها غير مرة أو مرتين في الرحلة الطويلة. وهذا ما أوحى إلى بالفكرة الجديدة، وهي تحويل أية بلة كحلية أو سوداء عادية إلى بدلة سهرة أنيقة، وذلك بوضع تلبيستين حريريتين سوداوين على ثنيتي السترة، وشريطين حريريين أسودين على جانبي البنطلون. وبطبيعة الحال ستكون طريقة هذه الأدوات بارعة بحيث لا يمكن لأحد أن يفطن إلى الحقيقة. بل لقد وضعت تصميم كيس خاص يمكن وضع هذه الأدوات الحريرية فيه بحيث تكون معدة للاستعمال في أية لحظة.

فصاح السيد بريكاد قائلًا:

- هذه فكرة رائعة، فأنا الآن أحتفظ ببدلة سهرة تحتل بمفردها نصف حقيبة ملابس. أما إذا أخرجت فكرتك إلى حيز التنفيذ، فأنها ستوفر لى مكانا إضافيا في الحقيبة أستطيع استغلاله فيما هو أجدى. أننى مستعد للاشتراك في مشروع كهذا، واعتقد أن نجاحه مضمون إذا أحسنت الدعاية له، بل في مقدورك أن تتفق مع أحد كبار الممثلين لارتداء بذلة من هذا النوع والظهور بها في الحفلات..

فرفع أرنست يده وقاطع الرجل قائلًا:

- هذا كله قد دار بذهني، ولكنني أدركت أنني مخطئ، فبعد أن وضعت

تصميم كل صغيرة وكبيرة للمشروع، وبعد أن عرضت بدلة من هذا النوع صديق لى وأعجب بها، إذا به يفاجئني قائلًا: أن جميع شركات الملابس، وجميع خيّاطي بدل السهرة سوف يرصدون آلاف الدولارات لمحاربة مشروعي هذا. أن بذلة السترة تباع في كل مكان بسعر يتراوح بين مائة ومائة وخمسين دولارا، فكيف آتى أنا واخترع أدوات حريرية تحول أية بذلة قاتمة اللون إلى بذلة، وكل ما يمكن دفعه في هذه الأدوات لا يزيد عن عشرة دولارات. أن صانعي بذل السهرة لا يمكن أن يتركوك وشأنك.

- نعم، أن هذا صحيح، ومن حق هؤلاء أن يدافعوا عن كيانهم وعن مصالح حملة الأسهم في شركاتهم.

وقال أرنست.

- ومع ذلك فأنى لم أكف عن التفكير في هذا المشروع. أنه أيضًا يوفر الحمولة في الطائرة. .. و. ..

- أنني مستعد للاشتراك معك في تنفيذ مشروع كهذا. هل حصلت على حق الامتياز لاستغلاله؟

- نعم، نعم، أنني أتخذ الإجراءات اللازمة للحصول على هذا الامتياز، ولكن هذا كما تعلم يستلزم بعض الوقت والمال.

ثم أردف قائلًا ليغير الموضوع:

- متى يمكن أن نبدأ في السفر يا مستر شيكو؟

فقال جون:

- أن سيارة جريهاوند تصل في نحو العاشرة حاملة بعض المسافرين والبضائع، وعلينا هنا أن نبدأ السفر بعد وصولها بنصف ساعة.

أي أن الوقت المرجح لسفرنا هو العاشرة والنصف. هل تريدون أيها السادة مزيدًا من القهوة؟

- نعم، مزيدًا من القهوة مع الشكر.

وأحضر جون القهوة، ونظر عبر النافذة إلى السيارة الحافلة التي كان يسميها «سويتهارت» أي «الحبيبة»، بينما نظر بريكارد إلى ساعة يده وقال:

- لا يزال أمامنا نحو ساعة.

- وفي تلك اللحظة أقبل من الخارج رجل عجوز طويل محنى القامة، وكان المسافرة الذي نام في سرير بمبلز. لقد فتح باب قاعة الطعام، ودخل، وجلس على أحد المقاعد المثبتة، وكان رأسه محنيًا بصفة دائمة لإصابة عنقه بتصلب في العظام، وكان يبدو عليه أنه تجاوز الستين من العمر، كثيف الحاجبين. مدبب الأسنان، طويل النابين، أصفر العينين، ولهذا كان يبدو عنيفًا شرسًا.

قال بلا مقدمات:

- إنني غير راض عما حدث أمس عندما تعطلت السيارة، وأنا لازلت غير راض حتى الآن.

فقال جون:

- لقد أصلحت العطب وأصبحت السيارة الآن في أحسن حال.

فقال الرجل:

- أعتقد أنه من الأفضل لي أن ألغي رحلتي معك وأعود في سيارة الجريهاوند إلى سان سيدرو.

فقال جون:

- حسنا، يمكنك أن تفعل هذا إذا شئت.

فعاد العجوز يقول:

- أن لدى إحساسًا ما.. إحساسا يحاول أن يحذرني من هذه الرحلة، لقد خامرني هذا الإحساس من قبل مرتين ولم أهتم به.

فكانت النتيجة أنى عانيت الكثير من المتاعب.

فقال جون بصوت ينم عن الضيق:

- إن السيارة الآن في حالة جيدة.

- إنني لا أتحدث عن السيارة، أننى أعيش في هذه المنطقة، بل التي ولدت فيها. والأرض الآن مشبعة بالماء، ولسوف يرتفع نهر سان سيدور. وأنت تعرف كيف يرتفع هذا النهر. أنه يتبع من تحت قمة بيكو لانكو مباشرة، ثم يقوم بحركة التفاف واسعة في خور لون بابن كانيون. وهذا يعنى أن كل قطرة زائدة من مياه هذه المطار سوف تتخذ طريقها إلى النهر.

فارتسم الجزع على وجه السيدة بريكارد، وقالت:

- هل تعتقد أننا سنتعرض للخطر في الطريق؟

فقال لها زوجها مطمئنًا:

- لا يا عزيزتي.

فعاد العجوز يقول:

-أن أن لدى إحساسا بخطر متوقع. كان الطريق القديم يمتد بجانب النهر دون أن يقطعه. ومنذ ثلاثين عاما تولى السيد تراسك إدارة مصلحة

الطرق في هذه المنطقة، ولم يعجبه الطرق القديم. فأنشأ معبرين على النهر. فماذا وفر من طول الطريق بهما؟ أنه لم يوفر غير أثنى عشر ميلا فق فقط. ومع ذلك بلغت نفقات المعبرين سبعة وعشرين ألف دولار، لقد كان هذا السيد تراسك لصًا.

ثمَّ استدار بعنقه المتصلبة وتأمل آل بريكارد برهة قبل أن يستطرد قائلًا:

- نعم، أنه لص، لقد مات منذ ثلاثة أعوام وهو موفور الثراء، ومع ذلك لم يكن يتفق شيئًا على ولديه الطالبين بجامعة كاليفورنيا. لقد تركهما يعيشان ويتعلمان على حساب دافعي الضرائب. ثم توقف برهة، وكشر عن نابيه وأردف قائلاً:

- في رأيي أن هذين المعبرين لن يتحملا فيضان النهر هذا العام، ومن ثم سألغي رحلتي وأعود إلى سان سيدرو.

فقال جون:

- لقد كان النهر حتى أول أمس شبه جاف.

- إذن فأنت لا تعرف نهر سان سيدرو، أنه يفيض في خلال ساعتين، لقد رأيته بنفسي يفيض ويبلغ اتساعه ميلا كاملا وقد تناثرت على سطحه أجسام الأبقار الميتة وبقايا الأكواخ المتهدمة.

- هل تعتقد أن السيارة قد تثقل على المعبر فيسقط بها في النهر؟

- إن لا أعتق شيئاً، كل ما أعرفه أن السيد تراسك مات تاركًا وراءه مزرعة تساوى ستة وثلاثين ألف جنيه، وأن لديه يبعثران الآن الأموال في الجامعة.

وهنا جين مكانه وراء طاولة الخدمة، وتناول سماعة التليفون وقال لعاملة الاتصالات التليفونية:

- أرجو الاتصال باستراحة السيد بريد على طريق سان جون. أنني لا أعرف الرقم، حسنا، سأنتظر قليلًا. كيف حالك يا مستر بريد، أنني شيكو، جون شيكو صاحب استراحة ريبلز مورتر. ما رأيك في حالة النهر؟ آه، حسنًا، والمعبر؟ حسنًا جدًّا، سوف أكون عندك ى أقل من ساعتين.

وأعاد السماعة إلى موضعها ثم قال للحاضرين:

أن النهر يرتفع بسرعة فعلا، ولكن المعبر في حالة طيبة.

فقال العجوز:

- إن مياه هذا النهر ترتفع بمعدل ثلاثين سنتيمترًا في كل ساعة يفرغ فيه خور باين كانيون مياه المطر المتجمعة في جنباته وأعتقد أنك حين تصل إلى ذلك المعبر فل تجد له آثرًا.

فاستدار جون إليه في صبر نافد، وقال:

- افعل ما تريد، أما أنا فسوف ألغي رحلتي وأعود إلى سان سيدور. أنني لا أريد أن أجلب المتاعب على رأس بنفسي، لقد خامرني ذات مرة هذا الإحساس ولم أهتم به، فانكسرت ساقي، لا يا سيدي, إن الإحساس يتوقع الخطر يستبد بنفس منفذ تعطلت السيارة أمس.

فقال جون.

- حسنًا، يمكنك أن تعتبر نفسك من غير ركاب السيارة.

- هذا ما أريده يا هذا! أنني أحد سكان هذه المنطقة منذ أكثر من نصف قرن. وأنت لا تعرف شيئًا مما أعرف عن تراسك. لقد كان مرتبه السنوي

خمسمائة دولار. فكيف ترك وراءه مزرعة تساوى ستة وثلاثين ألف دولار، هذا عدا عربون شراء مائة وستين فدانا من الأرض الزراعية..

فقال جون:

- لسوف أبذل جهدي لكي أوفر لك مكانا في سيارة الجريهاوند عند عودتها إلى سان سيدور.

- حسنا، أنني لا أقصد أن أتحدث بسوء عن تراسك، وإنما أردت أن أذكر فقط ما حدث..

وهنا قاطع أرنست هورتون العجوز وقال لجون:

- لنفرض أننا وصلنا إلى المعبر فوجدناه منهاراً، ماذا سيحدث؟

فقال جون:

- في هذه الحالة لن تستطيع عبور النهر بالسيارة.

- هل ستعود بنا عندئذ إلى هنا؟

- طبعًا: فإننا أما أن نفعل هذا أو نجعل السيارة تقفز عبر النهر وعندئذ ابتسم العجوز في انتصار قائلا:

- أترون؟ أنكم ستعودون إلى هذا المكان لتجدوا أن سيارة الجريهاوند قد رحلت في طريقها إلى الجنوب.. عندئذ كم من الوقت سوف تبقون هنا؟ شهورًا، أعنى حتى يقيموا معبرا جديدا! أنتم تعرفون من هو مدير الطرق هنا، أنه شاب حديث التخرج من الجامعة ملء الرأس بالنظريات، ويستطيع أن يرسم تصميمًا للمعبر، ولكنه لا يستطيع أن ينشئه. وسوف نرى.

وفجأة ضحك جون قائلًا:

- حسنا جدًا، أنك تتحدث عن المعبر الجديد، بينما القديم لم يتحطم بعد.

فاستدار العجوز إليه بعنقه المتصلب، وقال بحدة:

- هل تريد أن تسخر مني؟

فالتمعت عينا جون السوداوان ببريق غامض، وقال:

-هذا شأني، ولكنني سأضعك في سيارة الجريهاوند واطمئن عليك، فلا تقلق، أنني لا أريد أن تكون معنا في هذه الرحلة فهز جون كتفيه، وقال:

- أنك لا تستطيع أن تطردني، فما أنت إلا سائق سيارة عامة.

- حسنًا، أنني أحيانا أتساءل لماذا أحتفظ بهذا الخط من المواصلات، أنه منار متاعب لا حصر لها. ربما ألغي امتيازي بعد انتهاء مدته.

وهنا قالت برنيس فجأة:

- يقولون أن المكسيك الآن في فصل الجفاف، وأن الأمطار لا تكثر فيها إلّا في الصيف فهل هذا صحيح؟

فقالت ميلدرد:

- أعتقد أن السيد شيكو يستطيع أن يجيبك على هذا السؤال يا أماه، لقد ولد هناك.

- أوه. أحقا يا مستر شيكو، هل فصل الجفاف هو السائد الآن في المكسيك؟

- نعم، في بعض الأماكن، مثل الأماكن التي سيقصدونها، ولكن هناك مناطق لا تنقطع عنها الأمطار على مدار العام.

فتنحنح السيد بريكارد، وقال:

- إننا ذاهبون إلى مدينة المكسيك، العاصمة، ثم إلى بويلا،

ثم إلى جورنافاكا ثم إلى تاسكو، وربما واصلنا الرحلة إلى أكابلكو لتشاهد البركان هناك أن أمكن.

- لسوف تتمكنون من الاستمتاع برحلتكم قطعًا.

- أتعرف هذه الأماكن؟

- نعم.بلا ريب!..

- كيف حال الفنادق فيها؟

فابتسم جون وقال:

- فاخرة، طعام الإفطار يأتي إلي وأنت في الفراش، وهكذا وابتسم له السيد بريكارد وقال في شبه اعتذار:

- إنني لم أقصد أن أثير بعض المتاعب في هذا الصباح.

وعقد جون ذراعيه على طاولة الخدمة، وانحنى إلى الأمام بجذعه الأعلى وقال في صوت هادئ:

- حسنًا، حسنا، إنني في بعض الأحيان أشعر بالملل من هذه الحياة الرتيبة، ومن الاستمرار في قيادة السيرة يومًا بعد يوم في مواعيد منتظمة من هنا إلى مدينة سان جوان دى لاكروز، ومنها إلى هنا، وأنه ليخطر ببالي أحيانًا أن أمضي بها إلى التلال الرحيبة الممتدة إلى غاية البصر. وقد سمعت عن ربان سفينة صغيرة تنقل المسافرين من نيويورك إلى بعض الجزر القريبة، ثم تعود بهم من هذه الجزر إلى نيويورك، وفى النهاية انطلق ذلك الربان ذات يوم بسفينته إلى عرض البحر ولم يعد، لم يسمع أحد عنه شيئاً، ويقل أنه غرق بالسفينة، ويقال أنه يعيش الآن في إحدى جزر هاواي، أو في مكان ما من هذا القبيل. أنني في الواقع أدرك البواعث التي دفعت به إلى هذا العمل.

وكانت ميلدرد تنظر إلى جون مفتونة الإحساس. لقد شعرت أن هذا الرجل الناضج القوى ذا العينين السوداوين يثير في نفسها عواطف معينة تجذبها إليها وتجعلها ترغب في جذب انتباهه إليها،انتباهه الخاص، إليها هي وحدها. وكانت قد ألقت بكتفيها إلى الوراء قليلًا كلى تجعل نهديها أكثر بروزا و إغراء.

وقالت وهى ترفع النظارة من عينيها حتى يراهما على الطبعة، وهو يجيب على سؤالها:

- ولماذا هاجرت من المكسيك؟

- إنني لا أدرى.

وقالت ميلدرد لنفسها حين شعرت بالرغبة الجنسية تثور في أعماقها:

«يجب أن أضع لهذا حدا، مالى أنا ولهذا الرجل الجذاب الفاتن».

وعاد جون يقول:

- ربما تركت بلادي لا الناس هناك يعلمون كثيرًا ولا يحصلون إلا على القليل من المال.

فقالت السيدة بريكارد في لهجة الإنسان الذي يثنى على إنسان آخر:

- إنّك تجيد الحديث بالانجليزية!

- لماذا لا؟ أن أبي أيرلندي؟ ولهذا فأنى أجيد اللغتين الانجليزية والاسبانية معًا.

وكانت عينا جون تداعب عيني ميلدرد وتتبادلان معا أحاديث جنسية صامتة. فكانت نظراته مثلا تطوف بنهديها، وتتحسسهما.

ثـمَّ تهبـط إلى ردفيهـا، ثم تتركـزان عـلى خصرهـا النحيل، وتشـعران بالإحساسات الدافئة التي كانت تفور تدريجيًا في أعماق نفس الفترة، وكانت هـي بدورها تكاد تشـعر بأصابعه تتحسـس رد فيها وتثير في نفسـها الرغبة الجنسـية الحارة. وبدأ جسـمها يرتعد ويمتلئ باللهفة إلى جسـم هذا الرجل، وعبثـا حاولت أن تخفف منهـا أو تهدئها، بينما كان هو يشـعر بالانتصار.. انتصـار الرجل الملون على هـذه الفتاة البيضاء المتغطرسـة، أنه يعلم في تلك اللحظـة أن في مقدوره العبث بها، والتلاعـب بعواطفها، وتحطيم كبريائها. و إرغامها على الخضوع الكامل لرغباته.

وفجأة نهض السـيد بريكارد، وقال:

- إنني سأخرج لا تمشي قليلًا، هل ستأتين معي يا برنيس؟

فقالت زوجته وهي تنهض:

- نعم، بكل تأكيد.

- ونظرت ميلدرد في غيظ إلى والدها وهي تشـعر كأنما قطع عليها أجمل لحظة في حياتها!

□□□

الفصل السادس

ساحرة الرجال

عندما أفاقت أليس من اضطرابها العصبي، نهضت وغسلت وجهها وبذلت جهدها في تجميله وفي إزالة كل أثر من القلق والاضطراب عليه، ثم مضت إلى غرفة نوم نورما. وطرقت على الباب برفق. ودخلت باسمة، لترى نورما وهي تسرع بإخفاء رسالة في درج الخزانة.

وكانت أليس تعلم تماما أنه لا توجد علاقة ما بين بورما وزوجها جون؟ وكذلك كانت تعلم أن نورما، رغم حداثة سنها، من الفتيات اللائي لا يفرطن في عرضهن ببساطة وأنها تعيش في عالم من أحلامها الخاصة، وأنها تكتب خطابات لشخص ما وتخفيها، قبل إرسالها في مكان خفيٍّ بغرفة نومها. وكثيرًا ما حاولت أليس بدافع من الفضول الأنثوي أن تظفر بخطاب من هذا النوع لتقرأ محتوياته على ضوء الشمس دون أن تفتحه.

ولكن نورما كانت مدربة على إخفاء أسرارها، وقد بلغ من حرصها أنها كانت تضع في كل درج من أدراج خزانتها ورقة أو قطعة قماش في وضع معين، فإذا تغير الوضع عرفت أن يدًا ما حاولت أن تعبث بحاجياتها لتعرف أسرارها. أما مفتاح حقيبتها الخاصة فكان لا يفارق صدرها ليلًا أو نهاراً.

وكذلك أدرك بمبلز أخيرًا أنه لا جدوى من محاولاته الإيقاع بنورما، فكثيرًا ما حاول إغراءها على أن تفتح له نافذتها المطلة على الممر الخلفي في ساعة معينة من الليل، ولكنه لم ينجح، وكثيرًا ما كان يقضي الليل خارج النافذة يخمشها بأصابعه ليوقظ نورما أو يثير في نفعها دبيب الرغبة الجنسية

حين تعلم أن وراء النافذة شابا يشتهيها، بينما كانت هي تضع الوسادة على رأسها وتستغرق في النوم.

ولما دخلت أليس غرف نورما، نظرت الفتاة إليها في جزع وقالت بسرعة:

- تأكّدي يا مسز شيكو أنني لم أرتكب شيئًا ما، مع ذلك الرجل!

فابتسمت أليس برفق وقالت وهي تتقدم نحو نورما:

- أنا أعرف يا عزيزتي أنه لم يحدث بينكما شيء.

وأغضت أليس بعينيها كأنما تشعر بالخجل من نفسها، وكانت قد قررت أن ترضي نورما بكل وسيلة ممكنة. أما الفتاة فقد قالت عاتبة:

- إذن ما كان يجب أن تقولي هذا، افرضي أن أحدًا سمعك وأعتقد أن ما تقولينه عني صحيح، فكيف يكون الحال؟ أنني لست فتاة من هذا النوع الرخيص كما تعلمين.

وفجأة امتلأت عينا نورما بالدموع، وهي تردف قائلة:

أنني مجرد فتاة تريد أن تعيش بشرفها دون أن تثير أية متاعب لأحد.

فقالت أليس بلهجة كلها أسف:

- إنني أعتذر إليك يا نورما، حقًّا ما كان ينبغي أن أقول هذا لك ولكنني كنت أعاني من توتر شديد في أعصابي. لاسيما في مثل هذا الوقت من كل شهر. وأنت تعلمين كيف تكون الواحدة منا عندئذ في حالة اضطراب عصبي شديد!

فنظرت نورما إليها في دهشة واهتمام، ذلك أنها كانت المرة الأولى التي تبدو فيها أليس رفيقة لطيفة على شيء من الحنان. لقد أدركت منذ الأسبوع

الأول من بدء عملها مع أليس أنها امرأة تكره غيرها من النساء والفتيات كراهية غريزية وكأنما تجد في كل واحدة منهن غريمة لها تريد أن تنقض على جون وتنتزعه منها، ولهذا السبب حرصت نورما على أن تكون علاقتها بجون علاقة عمل فقط، حتى الحديث العادي قررت ألا يجرى بينها وبينه.

وعادت أليس تقول وقد شعرت بالرضا والارتياح وهي ترى الدموع تملأ عيني نورما:

- أنت تعرفين يا عزيزتي نورما كيف تكون حالة الواحدة منا في مثل هذه الظروف! أنها أحيانًا تشعر كأنما سنعقد عقلها.

فقالت نورما بصوت رقيق ينم عن لهفة الإنسان الذي يتمنى أن يجد له صديقًا واحدًا في الحياة:

- أنا أعرف.. أعرف تماما، وأنى التمس لك العذر.

فابتسمت أليس في حنان، وقالت:

- شكرًا يا نورما، والآن هلم اتبعيني؛ لأن جون يقوم بمفرده على خدمة العملاء.

- لسوف الحق بك بعد لحظة.

ومضت أليس إلى قاعة الطعام وهي تبتسم لنفسها لقد عرفت أخيرًا أين وضعت نورما الرسالة الأخيرة.

■ ■ ■

ونترك الآن أصحابنا هؤلاء في استراحة زاوية المتمردين، ونعود إلى مدينة سان سيدرو حيث نجد سيارة شركة جريهاوند الكبيرة الفاخرة واقفة أمام مخزن شحن البضائع واستراحة المسافرين، وعمال البنزين يملأون خزاناتها،

وعمال الشحن يرفعون البضائع إلى أعلاها عن طريق سلم حديدي صغير في مؤخرتها، وفي داخلها كان أحد العمال الزنوج ينظف الأرضية وما بين المقاعد وما خلف المساند ويرجو في الوقت نفسه أن يعثر على حافظة نقود ليأخذ بعض ما فيها ويعيدها إلى مكانها حتى يعثر عليها العامل في المحطة التالية. وكان المعتاد أن يجد بعض قطع من النقود والمرايا والمناديل وأقلام السجائر وما إلى هذا.

وكان المعتاد أيضًا أن يحتفظ لنفسه بقطع النقود، ويعيد الأشياء الأخرى إلى مكتب الأمانات، حتى يطالب بها أصحابها.

وفجأة تحقق رجاؤه، فإذا هو يجد حافظة نقود محشورة بين مقعدين، فلما فتحها وجد فيها ورقتين ماليتين، كل ورقة من فئة الخمسين دولارًا، وبعض أوراق أخرى تخص صاحب الحافظة، وتلفت جورج، العامل الزنجي، حوله وقد راح يغص بريقه الذي جف فجأة، ولاحظ وجود أحد العمال الذين يغسلون نوافذ السيارة من الخارج بالقرب منه، فقرر أن ينتظر قليلا حتى وتتاح له الفرصة ليخفي الورقتين الماليتين داخل بنطلونه الأزرق، ثم يعيد الحافظة إلى مكانها لكي يعثر عليها العامل في المحطة التالية.

وفي هذه الحالة لن يكون مسئولًا عنها أو عما فيها.

ولكن قبل أن تتاح له الفرصة المنشودة، سمع وراءه وقع خطوات يعرها جيداً، أنها خطوات لوي سائق السيارة، ثم إذا به يسمع صوته العميق يقول له:

- ها، جورج، ألم تعثر على حافظة نقود يقول صاحبها أنها سقطت منه هنا؟

فغمغم جورج بكلمات مضغمة، بينما عاد لوى يقول:

- حسنا، سوف أعود بعد قليل ريثما تعثر عليها.

فاستدار جورج وهو راكع على الأرض، وقال:

- لقد عثرت عليها، وكنت أنوى أن أقدمها إلى مكتب الأمانات فقال لوي وهو يأخذ الحافظة من جورج ويفتحها ليتأكد مما فيها:

-يقول صاحبها أن فيها ورقتين ماليتين. كل ورقة من فئة الخمسين دولارا وبعض الأوراق الخاص. آه. تماماً. أسف يا جورج أرجو لك حظًا أسعد في المرة التالية:

فقال جورج وهو يحاول أن يبتسم:

- ماذا لو أن صاحب هه الحافظ دفع لى مكافأة بسيطة!

وكان عامل تنظيف السيارة من الخارج يطل برأسه في تلك اللحظة ويتابع المناقشة باسما. وقد قال:

- نعم نعم يا جورج، لابد من المكافأة.

وغادر لوى السيارة إلى استراحة الركاب حيث وضع الحافظة على مكتب موظف الأمانات وقال:

- لقد عثر عليها جورج، أنه فتى طيب القلب.

وكان لوي يعرف أن الرجل الواقف بجانبه هو صاحب الحافظة ومن ثم أردف قائلًا دون أن يلتفت إليه:

- لو كنت أنا صاحب هذه الحافظة لدفعت لجورج مكافأة بسيطة تشجيعًا له على أمانته. فأنا أكر ذات مرة أن عاملا عثر على ألف دولار وأعاد المبلغ إلى ضاحية الذي أبى أن يكافئه بشيء فكانت النتيجة أن تحول هذا العامل إلى لص خطير. حسنا. كم عدد المسافرين معي إلى الجنوب؟

فقال الموظف:

- إن سيارتك كاملة العدد، وبين المسافرين ركب واحد سينزل في ريبلز كورنز، ولا تنس الفطائر هذه المرة كما فعلت مع الخمسين فطيرة في المرة السابقة. أن المتاعب التي عانينها بسبب هذه الفطائر لا حصر لها.

ثم أردف قائلًا لصاحب الحافظة:

- هذه هي حافظتك يا سيدي، تحقق مما فيها قبل أن تنصرف وقال صاحب الحافظة بعد أن اطمأن إلى كل ما فيها:

- هذه خمسة دولارات مكافأة.

وقرر لوي أن يعطى جورج دولارا واحد ويحتفظ لنفسه بالباقي ذلك أنه كان يرى الحياة مجرد فرص، وكان واثقًا تمامًا أنه لولا وصوله في الوقت المناسب لاختفت المائة دولار من الحافظة قطعًا.

كان لوي رجلًا في الخامسة والثلاثين من عمره، كبير الجسم، ممتلئا إلى حد ما، حسن الهيئة، حريصا على أناقة ملابسه، أقرب ما يكون منظرا إلى ممثلي السينما المعروفين.

ورأى لوي العامل جورج بطل برأسه من باب المخزون، فتقدم إليه وأعطاه الدولار وهو يقول له:

- إليك هذا الدولار.. أنه لم يدفع غيره، عليه اللعنة.

فنظر جورج في وجه لوي برهة، وأدرك أنه كاذب، ولكن ماذا كان في وسعه أن يفعل أن في مقدور لوي أن يؤذيه إذا شاء، ومن ثم هز كتفيه، وقال:

- شكرًا.

وانتهت عملية شحن وتنظيف السيارة، فتحركت إلى الإمام قليلًا لكي تحل سيارة أخرى محلها، وفيما كان لوي واقفًا ينتظر الموعد المحدد لصعيد الركاب إذا به يرى فتاة مقبلة نحو الاستراحة حاملة في يدها حقيبة ملابسها، رغم أنه لم يبين ملامحها جيدًا لأن الضوء كان ينساب من خلفها، إلا أنه أدرك أنها فتاة من النوع الذي يتمنى هو أن تجلس على المقعد الوحيد وراءه مباشرة. أنها فتاة جميلة كما شعر، لاسيما رأى بعينه، وهي ليست جميلة فحسب، و إنما تفوح أيضًا بالجاذبية الجنسية.

ورآها تمضي إلى نافذة حجز التذاكر، فلم يمض وراءها و إنما ذهب إلى دورة المياه، وبلّل أصابعه في مياه الحوض، ومسح بها على شعره بضع مرات، ثم تناول من جيبه مشطًا صغيرًا وراح يمشط به شعره إلى الوراء. وبعد أن اطمأن تمامًا إلى أنه لا توجد ذؤابات متنافرة منه، أخذ يمشط شاربه الذي لم يكن في حاجة إلى تمشيط، ثم ارتدى سترته الرسمية الرمادية، وشد الحزام على وسطه ثم أعاد المشط إلى جيبه، وتأمل نفسه في المرآة، ثم تحسس جوانب شعره ليتأكد من حسن تصفيفه، وأصلح رباط عنقه، ثم وضع في فمه بضع حبات من السن - سن. وبعدئذ نفض نفسه كما ينفض الديك ريشه عندما يهم بالتحويم حول دجاجة مقيتة.

وكان لوي لا يكاد يكف عن التكفير في الفتيات الجميلات لحظة واحدة طيلة ساعات يقظته، وكان يجب أن يوقع بهن بين أحضانه ثم يتخلى عنهن.

وتقدم خارجًا من دورة المياه حيث رأى اثنين من العمال يحملان صندوقًا ضخمًا من الورق المقوى مكتوبًا على جانبه هذه العبارة «قطائر مختلفة، عددها خمسون قطيرة، صناعة منزلية، خاصة باستراحة زاوية المتمردين التي يملكها السيد جون شيكو». وكان العاملان يمضيان بالصندوق إلى السلم الخلفي للسيارة ليضعاه في أعلاها.

ولمح لوي الفتاة جالسة على متكأ في غرفة الاستراحة، وحقيبة سفرها بجانبها على الأرض، وفيما هو يعبر الغرفة، أرسل نظرة سريعة إلى ساقيها، ثم علق نظراتها في نظرة طويلة مركز منه، ثم وضع هذه الابتسامة الرقيقة على شفتيه، وتقدم نحوها، ولكن الفتاة أعادت النظر إليه ثم أشاحت بوجهها دون أن تبتسم.

وأحسّ لوي بالاستياء وخيبة الأمل، أنه لم يستطع أن يشيع في نفسها الاضطراب والارتباك بنظرته الطويلة المركزة. وإنما وجد أنها لم تهتم بأمره في قليل أو كثير. هذا مع أنها جميلة حقا، جميلة الساقين والردفين، بلا بروز عند البطن، ولا تخاذل عند الصدر، وإنما نهجان كبيران بارزان، وشعر طبيعي اللون كالذهب، وعينان مكحلتان، وبشرة ناعمة وملامح متناسقة، وشفتان مدهمتان ممتلئتان وكانت ترتدي سترة آنيقة وجونلة ضيقة. وهكذا جمعت في نظر لوي بين الأناقة والجمال.

وتأمل لوى وجهها وهو يعبر الغرفة وقد خامره إحساس بأنّه سبق أن رأى هذه الفتاة وأن كان لا يذكر مني وأين. ولكن لعلها تشبه فتاة سبق أن رآها أو ربما رآها في دور صغير بأحد الأفلام السينمائية. ولاحظ لوي بفتاة جالسة بهدوء تام وبلا أية ظواهر للتوتر العصبي، وهو عادة يخشى هذا النوع من الفتيات الهادئات المتمالكات لاعصابهن.

وفيما هو يوشك على الانصراف قرّ لوي أن يعاقبها على استخفافها به، بالنظر الطويل إلى ساقيها، وكان يعرف أن هذه النظرة تجعل الفتاة تضطرب وتحاول إخفاء الجانب الأكبر من ساقيها ولكن هذه الفتاة ظلت في مكانها لا تهتز أو تتحرك. وعندئذ قال لنفسه مواسياً، لعلها من بنات الليل.

ولعل أجرها لا يزيد عن ثلاثة جنيهات.

ثم ضحك لنفسه وأردفها قائلا:

«لكن بنات الليل لا يرتدين ملابسهن بمثل هذه الأناقة والذرى الرفيع».

ومضى لوي إلى نافذة حجرة التذاكر، وابتسم للموظف للمؤلف الجالس بها وكان يدعى إدجار، وكان هذا شديد الإعجاب بـ«لوي» ويتمنى أن يكون مثله ذات يوم.

وسأله لوي قائلًا:

إلى أين ستمضي تلك الحمامة؟

- الحمامة!

- نعم. الجميلة الشقراء. فغمز إدجار بعينيه وقال باسمًا:

وراح لوي ينقر بانتظام على أرضية النافذة وقد استغرق في التفكير. ولكن إدجار لم يلبث أن قال له فجأة:

- هل تريد أن تلتقط هذه الحمامة؟

- لا بأس من المحاولة. أنها من بنات الليل كما يبدو.

فلمعت عينا إدجار وقال بحماس:

- وماذا عن بنات الليل. ما ذنبهن و....

ولكن الشاب تمالك نفسه ثم عاد يقول معتذرًا.

- إنني آسف يا لوي، وبهذه المناسبة أريد أن أقول قبل أن أنسى أرجوك أن تشرف على عمل صندوق الفطائر وتوصيله سالما إلى أصحاب في زاوية المتمردين. لقد حدث في المرة السابقة أن اختلطت الفطائر بعضها ببعض واضطررنا إلى دفع ثمنها لأصحابها.

فقال لوي في اعتزاز وثقة بالنفس:

وقبل أن يتمادى لوي في شعوره بالاستياء، إذا به يرفع عينيه إلى الساعة الكبيرة العامة على الحائط. وفيما هو يتأملها لمح في زجاجها صورة الفتاة وهي تتأمله من الخلف، ومن تم زال كل شعور له نزلًا وابتسم الإيجار، وقال له:

- لسوف أعنى بصندوق الفطائر حتى تصل كلها سليمة إلى أصحابها.

ثم أردف قائلا وهو يغمز بعينه:

يبدو أني سأقضي وقتًا لطيفا مع هذه القائمة.

واستدار ببطء وراء ويتأمل مرة أخرى وجه الفتاة الجميل. ويحاول أن فيه للإشارات التي تنم عن الجاذبية والميل الجنسي الشديد. وقد وجد هذه الإمارات في استدارة أنفها واتساع المسافة بين عينيها، وفى لون شعرها، وكانت في جملتها فتاة تلفت نحوها أنظار جميع الرجال أينما ذهبت.

وقر لوي أن يطبق الدرس الثاني في فن المناورات الغرامية. فوضع على شفتيه ابتسامة رقيقة تنم عن الاحتراق، ثم علق نظراتها بنظرة طويلة منه، ولاحظ للمرة الأولى أن البرود زال من نظراتها. فتقدم منها، وقال:

- سمعت أنك راحلة إلى الجنوب في سيارتي يا سيدتي، واعتبر هذا شرفًا كبيرًا.

يوجد 3 صفحات مطبوعين على نفس الكلام غير واضحين أنا حاولت فيهم.

وكثيرًا ما كانت تعاني الآلام من هذه الحالة وهي في سن الصبا. أما الآن. فقد راضت نفسها على الاحتمال. ودربت نفسها على مناورات الرجال

حولها حتى أصبحت قادرة على معرفة كل حركة يقوم بها الرجل. وكل كلمة يقولها.

وكان أشدّ ما يثير سخطها و يضايقها أولئك الرجال الذين يظهرون لها. في أول الأمر. الرغبة في رعايتها وتقديم المساعدة لها والعمل على حمايتها دون أن يطالبوها بشيءٍ. ولكنها كانت في الوقت نفسه نفرًا حقيقة رغباتهم كما تقرأ كتابًا مفتوحاً، وكثيرًا ما كانت تتمنى لو أنهم تركوا النفاق جانبًا وتصرفوا معها كما يتصرف بعض الرجال الذين يراودونها عن نفسها بلا لف أو دوران تاركين لها الحرية في أن تقبل أو تفرض.

وأشد ما كان يسخطها و يؤلها أيضًا ذلك الصراع الخفيّ أو الصريح الذي يدور بين الرجال كلما ظهرت بينهم. أنهم يتصارعون بعنف وحدة وقسوة كالكلاب، كل يريد أن يستأثر بها دون الجميع. وكم تمنت في حياتها لو أن النساء يحملن لها بعض الحب، ولكن هذا لم يحدث أبدًا. لقد كانت الكراهية تطل من عيون النساء بمجرد أن تقع نظراتهن عليها.

وهي ذكية تعرف السر في هذا، ولكن ماذا في وسعها أن تفعل. إن كل ما تريده من الحياة هو بيت لطيف. في مدينة لطيفة. وطفلان، وملابس جميلة، وأصدقاء وصديقات يقبلن دعوتها للعشاء بين الحين والآخر، وزوج طبعاً، ولكنها لم تحاول أبدًا أن ترسم صورة معينة لذلك الزوج، يكفي أن يكون رجلا متوسط الدخل، طيب القلب، لا يجعل للغيرة أو الشك محلًا يسمم حياتهما هذا هو كل ما تريده من الحياة. وهذا ما تعرف تمامًا أنها لم تستطيع أن تحصل عليه يومًا.

أنَّ الحزن يملأ نفسه، أنها لتساءل كثيرًا عن حالة غيرها من النساء. ترى هل هن يختلفن عنها في الاستجابة الجنسية مع الرجال؟ لقد أدركت بقوة الملاحظة أن الرجال لا يشتهون معظم النساء كما يشتهونها هي.

وإنما لا تدرى لماذا؟ فإن استجابتها الجنسية ليست دائمة، وليست عارمة. ولكنها لا تعرف ما هو الحال مع غيرها من النساء، أنهن لا يتحدثن معها في هذه الشئون، لأنهن لا يأمن لها ولا يشعرن نحوها بالمودة والحب. لقد حدث أن تعرفت بطبيب شاب، فلما سألته عن الفارق بينها وبين غيرها من النساء قال: «إنني لا أدرى تمامًا، ولكنك تملئين الجو حول الرجل بالقوة والحياة. والحمد لله أن الدنيا لا تخلو من مثيلاتك، وإلا لفقد الرجال عقولهم؟».

وتعلّمت الكتابة على الآلة الكاتبة. ولكنها لم تستطيع الاستمرار في أي عمل أكثر من أسبوع أو أسبوعين. إذا كان الرؤساء والمرءوسون يتصارعون للفوز بها. وهكذا ينتهي بها الأمر إلى الفرار.

وأخيرًا استطاعت أن تجد أعمالًا موسمية في الفرق الاستعراضية التي تقدم في نهاية البرامج الترفيهية مجموعة من الفتيات اللاتي يخلعن ملابسهن قطعة ويقفنَ على المسرح عاريات تمامًا بين دوى التصفيق والهتاف والصفير من جمهور أكثر من نصفه عجائز. وقد رأت أن خلعها الملابس على المسرح مقابل أجر طيب كل ليلة. أفضل لها من خلعها هذه الملابس نفسها. راضية أو كارهة، في غرفة رجل قد يكون عربيًا أو مجرمًا.

وقد أثبتت لها التجارب أن الشبان هم آخر من يصلحون للحياة معها. لقد حاولت أن تعيش بصفة مستمرة في رعاية الواحد منهم بعد الآخر، فإذا هم جميعًا ينقلبون إلى وحوش صغيرة قاسية لا ترحم ولهذا رأت أن الرجل الكل الثرى هو خير من يهيئ لها حياة مستقرة وقد عاهدت نفسها، إذا عثرت عليه، أن تكون وفية له، وأن تعوضه أحسن تعويض نظير ما سينفقه عليها من مال ووقت.

وأفاقت الفتاة من أفكارها على صوت لوى. وهو يقول غاضباً:

- [illegible] ذاهبة إلى لوس [illegible]

- [illegible] الوقت.

- إنني أحاول أن استنتج بعض الحقائق عن الركاب، فإن رجلاً مثلي يرى في حياته الكثير من الشخصيات المختلفة.

ودار محرك السيارة، ورأى لوي في المرآة أن المرأة العجوز تحملق فيه بغيظ، فهز كتفيه وقال لنفسه: « لتفعل ما تشاء». ثم ألقى نظرة أخيرة على بقية الركاب. فرأى الراكب الصيني واضعًا الصحيفتين على ركبتيه ومنهمكا في قراءتهما في وقت واحد.

وانسابت السيارة متحركة من أمام الاستراحة. وانحرفت يسارًا إلى الممر الذي يؤدي إلى الشارع الرئيس بمدينة سان سيدرو. وتوقف لوي بالسيارة برهة قبل أن يعبر الشارع إلى الجانب اليمن منه. ثم انطلق [illegible] إلى ضواحي المدينة ومنها إلى الطريق الزراعي العام.

وعاد لوي ينظر إلى صورة الفتاة في المرآة، ويحاول أن يسجل في ذهنه كل لمحة من لمحات جمالها الآسر. وفجأة رآها تبتسم له. فغص بريقه.

وأحس كأن شيئًا ما يضغط على صدره ويعتصر قلبه وأن عقله يوشك أن يطير من رأسه. ولكنه تمالك نفسه وقال: «عجبًا لي؟ أنني أحس كأني تلميذ مراهق يرى فتاة جميلة، لأول مرة؟ كيف أوشك أن أفقد عقلي أمام فتاة من بنات الهوى كهذه».

وفي تلك اللحظة لمح على كل جانب من جانبي جبينها، تحت خصلات الشعر الذهبي، آثار الكي بالنار. أنها الآثار التي يدمغ بها مكتب الآداب كل فتات تحترف الدعارة. وأحس لوي بالارتياح عندما رأى آثار هذا الكي.

وأدرك أنها لن تظل هكذا متكبرة مزهوة بجمالها و عرفت أنه رأى هذه الآثار التي تحاول جاهدة أن تخفيها تحت خصلات شعرها.

وتذكر لوي أنَّ المسافة إلى زاوية المتمردين لا تزيد عن أربعين ميلاً. وأن السيارة لن تستغرق في قطعها أكثر من ثلثَيْ ساعة. ومعنى هذا أن عليه - إذا أراد أن يتصرف بالفتاة - ألا يضيع لحظة واحدة.

وتمتم ببضع كلمات في صوت مضطرب، وانحنت الفتاة نحوه، وقالت:

- إنني لم أسمعك.

فتنحنح وقال:

- كنت أقول أن المزارع تبدو جميلة ناضرة بعد المطر.

- نعم، هذا صحيح.

ورأى أن يعود إلى حديثه الأول، فقال وهو يلاحظ أنها لا تزال منحنية نحوه:

- إنني أحاول كما ذكرت أن أستنتج بعض الحقائق عن الشخصيات التي تركب معي، وأستطيع أن أقول عنك أنك تعملين أما في المسرح أو في السينما.

فقال الفتاة:

- لا، لقد أخطأت الاستنتاج.

- إذن في الفرق الاستعراضية؟

- لا.

- حسنًا! هل تعملين في أحد المكاتب؟

فضحكت الفتاة، وازداد وجهها جاذبية وهي تضحك. وكانت في الوقت نفسه تدرك الغرض من هذا الحديث، أنه يريد أن يستدرجها ليعرف منها رقم تليفونها أو عنوان مسكنها، فكهذا الأمر دائماً. ولكن لا بأس، أنه لن يستطيع أن يعرف شيئاً، لأنها كانت ذاهبة إلى لوس أنجلوس لتبحث عن عمل، وهذا يعني أنها ستعيش فترة ما بلا مسكن وبلا رقم تليفون.

وانحنت نحوه وقالت:

- اسمع، لوف أوفر عليك الوقت والجهد، أنني كنت أعمل معرضة في عيادة طبيب أسنان.

ولم تدر لماذا قالت له هذا. لعلها كانت تعرف بخبرتها أن الناس عادة لا يحبون أن يكثروا الحديث عن العمل في عيادات طب الأسنان.

وفكر لوى برهة، ثم قال وهو يخفف من سرعة السيارة بعض الشيء ليكسب مزيدًا من الوقت:

-أنني أذهب أحيانا إلى لوس انجلوس، فهل ثمة مكان معين أستطيع أن التقى بك فيه لنذهب إلى السينما أو إلى مطعم للعشاء.

فابتسمت في رفق وقالت:

- التي الآن بلا مسكن، وربما مرت بضعة أيام قبل أن استقر في مسكن خاص.

- ولكنك تعملين في مكان ما، ألا يمكن أن أزورك في محل علمك؟

وكانت المرأة العجوز تتلوى وتتململ في مقعدها من فرط السخط لأن لوى منعها من الجلوس في المقعد الأمامي، أما الفتاة فقالت:

-لا، أنني بلا عمل في الوقت الحاضر. ولكنني سوف أجد عملًا بسرعة

عنـد وصول إلى لـوس أنجلوس، فأنت تعـرف أن هناك أزمـة في الممرضات المدربات.

- هل أفهم من هذا أنك تريدين التخلص مني؟

- لا، أبدًا.

- حسـنًا، لعلك لـن تبخلي على يوما برسـالة قصيرة تخبرينـني فيها بمحل إقامتك أو رقم تليفونك.

- سأحاول أن أفعل.

- إنـني في الواقـع أريـد أن أتعرف بفتـاة جميلة مثلك في لـوس انجلوس لأصحابها إلى دور السـينما والمسـرح.

وهنـا انفجرت المرأة العجـوز قائلة لجميع الركاب بصـوت مرتفع كله الغضب:

- إن القانون الرسـمي يمنع السائق من التحدث مع الركاب. ويحسـن بك يـا هذا أن تركز اهتمامك في قيادة السـيارة ولا تعرض حياتنا للخطر. أما إذا تماديت في هذا، فأني سأطلب من كل التوقف. لكي أهبط.

وأطبق لوي شـفتيه فورًا. إذ كان يعـرف أن للعجوز الحق في هذه المرة في توجيه اللوم عليه. بل أن في مقدورها إذا شـاءت أن تحرج مركزه مع إدارة الشركـة. ونظـر في المرآة. ونظـر في المرآة، فـرأى الفتاة تبادلـه النظرات في صمت، وأخيرًا حرك شفتيه قائلًا بصوت هامش: «اللعنة على تلك الحيزبون العجفاء».

وفهمت الفتاة كلماته الصامتة، فابتسـمت , ووصمت أصبعها على فمها وهى تحـس في وقت واحد بالراحة والأسـف. الراحـة لأن تدخل العجوز

في الحديث جاء في الوقت المناسب. أي قبل أن يتمادى لوى في حديثه معها ويثير الاضطراب حولها. والأسف لأنه كان في رأيها شابًا لطيفا لا ترفض أية فتاة من طبقتها أن تنشئ معه علاقة موقوتة أو دائمة.

وأدرك لوى بدوره من موقف الفتاة أنها لا تريد إثارة المشكلات وكانت السيارة تقترب بسرعة من زاوية المتمردين، والوقت من ثم يطير، فماذا تراه يفعل ليظفر منها وبعد قاطع على اللقاء قبل أن تهبط من السيارة وتختفي من حياته؟

ووصلت السيارة إلى زاوية المتمردين قبل أن يصل هو إلى حل لهذه المشكلة.

وقال جون شيكو هو يستقبله:

- ها يا لوي، هل جئت لي معك بصندوق الفطائر؟

- نعم، وكلها سليمة.

- وماذا أيضًا؟

- وراكبة واحدة.

ونهض لوى من مقعده، وحمل حقيبة الفتاة، وهبط من السارة، ثم مد يده وساعد الفتاة على الهبوط، ثم سار معها نحو قاعة الطعام حيث التي له عند مدخلها:

- وداعًا وشكرًا.

- وداعًا!

وراح يتأملها وهى تغيب في داخل القاعة.

حمـل جون وبمبلز صندوق الفطائـر إلى باب قاعة الطعام حيث وضعاه برهـة عـلى الأرض، وراحا يرقبـان الفتاة الشـقراء وهى تدخـل إلى القاعة. وصفر بمبلز بشـفتيه صفيرًا خافتًا وقد نصيب العـرق من راحتيه، بينما ركز جون نظراته برهة على ظهر الفتاة وساقيها، ثم ابتسـم قائلًا لبمبلز:

- أنا أعرف ما سوف ما تقوله لي الآن يا كيت. وأراهن عليه.

فنظر بمبلز إليه مدهوشًا، وقال في ارتباك:

- على أي شيء؟

- عـلى أنـه قد خطر لك الآن أنـك لم تظفر بإجازة منذ أسـبوعين، وأنه قـد آن لـك أن تنال اليوم إجازة، وأن تسـافر معنا إلى مدينة سـان جوان دي لاكـروز ولعلك تتمنى في فزارة نفسـك أن تتعطل السـيارة في الطريق لتبقى بجانب هذه الشقراء أطول فترة ممكنة!

واضطرم وجه بمبلز، وبدأ الارتباك عليه برهة، ولكنه اطمأن حين رأى ابتسـامة جون، ثم قال:

- صدقت؟ أنك رجل موفور الذكاء، طيب القلب!

- ولكـن مـن الـذي سـيتولى أمر محطـة البنزيـن وإصـلاح العجلات المثقوبة؟

- ومن الذي كان يقوم بهذا العمل قبل أن أعمل معكم؟

- لا أحـد، وقد تعودنـا في هذه الأحوال أن نضع لافتـة صغيرة على باب الجراج مكتوبًا عليها «مغلق لأسباب قاهرة.

ثم ضرب على كتف بمبلز، وقال:

- أما أليس ففي مقدورها أن تزود السيارات بما يلزمها من وقود.

وقال بمبلز لنفسه: «يا له من رجل طيب حقًّا».

وعاد جون يقول:

- والآن، عليك أن تنقل هذه الفطائر في حذر إلى قاعة الطعام.

وحمل بمبلز فطيرتين برفق ومضى بهما إلى قاعة الطعام ليسلمهما للمسز شيكو، وكانت الشقراء جالسة إلى طاولة الخدمة تشرب قدحًا من القهوة، ورغم أن الفتى لم ير وجهها، إلا أنه أحس بالجو «المكهرب» الذي إشاعته في القاعة.

لقد كان السيد بريكارد والعجوز فان برانت، والشاب أرنست هورتون في حالة قريبة من الذهول، وهم يسرحون أعينهم على محاسن الشقراء الفاتنة، ثم يقضون بأبصارهم لكي يعيدوا النظر وهكذا، وكأنما أصابهم مس من الجنون.

ولم تكن أليس عند طاولة الخدمة، وإنما كانت نورما هي التي تقوم بالعمل في تلك اللحظة، وكانت تسأل الشقراء قائلة:

- أتحبين أن أقدم إليك قطعة من الفطير الطازج؟

وتوقف بمبلز برهة ليسمع صوت الفاتنة الشقراء التي قالت:

- نعم، إذا سمحت.

وأحسّ بمبلز بألم في أمعائه وهو سمع صوت الفتاة الممتلئ بالجاذبية الجنسية وعاد إلى الخارج ليأتي بمزيد من الفطائر، وهناك قال له جون:

- لا تتلكأ عند تلك الشقراء، لسوف تشبع عينيك منها طيلة المسافة إلى مدينة سان جوان إلا إذا كنت تنوى أن تقود السيارة.

وأومأ بمبلز برأسه، وحمل الخمسين فطيرة إلى قاعة الطعام، ثمّ ساعد جون في حمل صندوق آخر من الفطائر كان في طريقه إلى سان جوان، عندما أراد وضعه في المخزن الداخلي للسيارة الحافلة «سوتيهارت» وكانت هذه قد أصبحت معدة للسفر ن ومن ثم وقف جون على مسافة خطوات منها وراح يتأملها بإعجاب، حقًا أنها لست في قوة وجمال سيارات شركة الجريهاوند، ألا أنها لا بأس في ذاتها.

قال مبلز:

- هلمّ نستعدُّ للرحيل. أغلق باب الجراج، وضع لافتة الغلق عليه، وأسرع بتغيير ملابسك إذا أردت أن تكون معنا.

وانطلق بمبلز ليقوم بهذه الأعمال، بينما نفض جون ملابسه. ومضى إلى قاعة الطعام حيث رأى السيد بريكارد جالسًا وقد وضع ساقه اليمنى على اليسري وراح يحرك أصبع قدمه الكبيرة في حركات عصيبه تشنجية.

كان السيد بريكارد قد لمح وجه الفنانة الشقراء وهى تدخل القاعة، وأحس بدبيب النشوة والانفعال يسرى في أعماق نفسه، إلا أنه عقد جبينه برهة مكفركاً، لقد خيل إليه أنه رأى هذه الفتاة من قبل، ربما في مكتب دصيق له، أو ربما في مكان آخر، ولكن المؤكد أنه رآها من قبل. اما أين ومتى فهو لا يعرف!

وكانت زوجته تنظر خلسة إلى حركات قدم زوجها، أما أرنست هورتون فكان يحملق بلا حياء إلى ساقَيْ الفاتنة الشقراء. وشعرت نورما

بالميل إلى الفتاة الحسناء، لأنها لم تكن تغار منها في شيء أو تخاف منها على شيء. ثم أنها تجد هذه الفتاة لطيفة في تصرفاتها وفي حديثها، ويبدو أن الشعور كان متبادلًا بين الاثنتين، لأن الشقراء الفاتنة أحست بالميل المفاجئ إلى هذه الفتاة الوادعة التي يتم وجهها عن الطفولة والبساطة.

وكانت أليس قد قالت لنورما قبل وصول سيارة شركة الجريهاوند بلحظات:

- أرجو أن تقومي على الخدمة هنا ريثما أعود، ولن أغيب كثيرًا.

ثمَّ أقبلت السيارة، وشغلت نورما بتقديم القهوة والحلوى للشقراء الفاتنة، ولكنها الآن قد تذكرت. تذكرت أليس وأدركت المعنى المنطوي وراء غيبتها في غرفات النوم. لا شك أنها الآن تبحث عن الخطاب، خطابها الذي كتبته لكلاك جيبل ولعلها عثرت عليه وراحت تقرأ محتوياته بتعريض الظروف لضوء الشمس واستبد الغضب بنورما، ونظرت إلى أكداس الأوراق المالية في درج الخزينة وغصت بريقها. وأن جانبا من هذه الأوراق يمكن أن يتيح لها رغد الحياة حتى تحصل على عمل آخر. ولكن لا، أنها ليست من هذا النوع، ولن تكون يومًا منه. وأحست بالرغبة القوية في ترك عملها مع أليس، بل أقسمت أن تترك عملها هذا إذا ثبت لها أليس انصرفت لتقرأ خطابها إلى السيد جيبل.

وأقبل جون في تلك اللحظة إلى قاعة الطعام، ووقف برهة ينظر إلى ظهر الفاتنة الشقراء، وهنا قالت له نورما:

- أتسمح بالوقوف في مكانى برهة يا مستر شيكو.

فسألها قائلًا:

- أين أليس؟

- لا أدرى!

ولكنهـا كانـت واثقة أن أليـس في تلك اللحظة مشـغولة بقراء خطابها على ضوء الشمس، وفجأة أحسـست برغبة عنيفة في الانطلاق إلى أليس، وفى انشاب أظافرها في وجهها، وفى إخراج عينيها من مقلتيهما، والإيقاع بها على الأرض ثم ضربها ضربًا مبرحًا.

وقال جون وهو ينظر إلى الانفعالات المرتسمة على وجه نورما:

- ما بالك يا نورما؟ هل أنت مريضة!

وانطلقت نورما إلى غرفة نومها في تسلل وحذر، وهناك رأت أليس فعلًا واقفـة بجانب النافذة وقد رفعت الخطاب إلى ضوء الشـمس. وراحت تبدل جهدها لتقرأ محتو ياته.

وأحسـت أليس أن الفتاة واقفة وراءها، فاسـتدارت في خجل، ووقفت مندهشـة فاغرة الفم مضطربة الوجه وهى تنظر إلى نورما التي بدت في تلك اللحظة كأنما تحولت إلى فتاة أخرى.

وتقدمت نورما بخطوات ثابتة نحو أليس وقد زمت شفتيها وعضت على نواجزها وركزت عينيها في وجه المرأة التي أحسـت بخوف غامض يسـرى في كيانها، فمدت يدها بالخطاب إلى نورما، فأخذته هذه بهدوء وطوته ووضعته في صدرها، ثم تناولت مفتاح حقيبة السـفر وفتحتها وراحت تجمع فيها كل حاجياتها دون أن تلفظ بكلمة.

وتسمرت أليس في مكانها وهى ترقب ورما، فلما تأكدت أن الفتاة تنوى الرحيل فعلا قالت لها:

- هل سترحلين اليوم فورًا؟

ولم تجب نورما، وإنما قررت أن تحتفظ بموقعها النبيل، وإلا تسمح لأحد بأن يرغمها على اتخاذ خطوات مخالفة لما قررته. وعادت أليس تقول في لهجة اعتذار:

- إنني لم أقص أبدًا أن أسئ إليك.

ولم تقل نورما شيئًا، بل ولم ترفع عينيها إلى أليس التي أردفت مائلة في صوت ينم عن الأقل.

- يحسن ألا تخبري أحدًا بما حدث وإلا اتهمتك بالسرقة.

ومرة ثالثة لم تجب نورما، وإنما مضت إلى معطفها الأسود المزين بفراء أرنب، فحملته على ذراعها، وتناولت حقيبتها التي كانت تضم كل ما لديها في الدنيا، ثم خرجت من الغرفة وضمت بهدوء إلى آلة النقد وتناولت منها بقية حسابها، وكان المبلغ لا يزيد عن أحد عشر دولارا وبضعة بنسات. فلما وضعت المال في جيب معطفها الأسود، نظر جون إلى وجهها الصارم وقال مندهشًا:

- ما معنى هذا؟ ماذا حدث؟

فقالت نورما:

- أنني راحلة معك إلى مدينة سان جوان.

- إن عليك أن تبقى لمساعدة أليس، فليس من المعقول أن تظل هنا بمفردها.

- هذا ليس من شأني، لقد تركت الخدمة.

ولاحظت نورما أن الفاتنة الشقراء تراقبها، وهي تنصرف من القاعة إلى السيارة. أما جون فقد هز كتفيه وتمتم قائلًا:

- ما معنى هذا!!

وسمعه إرنست هورتون الذي كان نتجهم الوجه، إذ كان في الواقع بكره أليس، ولكنه لم يعبر عن كراهيته هذه بالألفاظ، و إنما قال ببرود:

- متى سنبدأ الرحيل؟

- في العاشرة والنصف تماما - أي بعد عشرين دقيقة، وسوف أمضي الآن لأغير ملابسي، فإذا أراد أحدكم أن يشرب قدح قهوة، فما عليه إلا أن يأتي و يأخذه بنفسه، وها هو ذا الإبريق الكبير الممتلئ بالقهوة.

ومضى إلى غرفة النوم حيث خلع ملابسه الخارجية، واثنتن إلى الحمام ليغتسل، وعندئذ رأى زوجته خارجة منه، فقال لها:

- ماذا حدث؟ يبدو أن أعصابك انهارت تماما!.

- إنني أعاني من وجع أسنان رهيب، ولا يزال الوجع مستمرًّا.

- ولكن ماذا حدث من نورما؟

- دعها وشأنها. لقد كنت أعلم أني سأفضح أمرها يومًا.

- ماذا فعلت؟

- أنها خفيفة اليد.

- وماذا أخذت؟

- أتذكر زجاجة عطر البللودجيا التي أهديتها إلي في عيد رأس السنة الماضية. لقد اختفت منذ أسبوع، ثم عثرت عليها اليوم في حقيبة ملابسها، ولما جاءت وعرفت الحقيقة قررت ترك الخدمة.

وأغمض جون عينيه برهة. لقد كان يعرف أن أليس كاذبة: ولكنه لم يهتم كثيراً، لأنه آلى على نفسه ألّا يتدخل فيما بينها وبين العاملات اللاتي تستخدمهن لمساعدتها.

ومضى إلى الحوض، وهو يقول:

- أن أعصابك تالفة اليوم يا أليس، اقترح عليك أن تغلقي أبواب المطعم بعد رحيلنا، وأن تشربي حتى تفقدي وعيك من فرط السكر فابتهجت أليس وقالت:

- وهل سيمضي بمبلز معكم؟

- نعم.

وازداد إحساسها بالبهجة، لقد كانت تهفو إلى مثل هذا اليوم الذي تقضيه بمفردها تماماً، بلا زبائن، وبلا عمال أو عاملات، وبلا خوف من زوجها، وبلا أية هموم أو متاعب.

وكان أرنست هورتون قد اقترب في تلك اللحظات من الفاتنة الشقراء، ثم قال لها بعد أن حياها:

- أتقبلين أن أقدم إليك قدحًا من القهوة وبعض الشطائر؟

فابتسمت وقالت:

- أوه، شكراً. يكفى قدح من القهوة؟

وقال مقدمًا نفسه:

- إنني أرنست هورتون، مندوب إحدى شركات العاب التسلية.

فردّت عليه قائلة ببساطة:

- وأنا.. كاميليا أوكس، ممرضة سابقة بعيادة طب الأسنان.

ولم يكن هذا اسمها في الواقع، ولكنه ورد على لسانها عفواً، فقررت أن تظل، «كاميليا أوكس» طيلة الرحلة إلى لوس انجلوس على الأقل.

وقال أرنست وهو يقدم إليها إناء السكر:

- يبدو لى أن سمعت هذا الاسم منذ عهد قريب.

وكان السيد بريكارد لا يزال مشغولا بتحريك طرف قدمه حركات اختلاجية عصبية، وكانت زوجته برنيس لا تزال تختلس النظر إلى هذه الحركات وقد أدركت أن زوجها مشغول الفكر بشيء مهم وفجأة نهض واقفًا ومضى إلى طاولة الخدمة وقال لارنست:

- لعلك تقصد أنك سمعت عن «جريمة أوكس» حسنا، أنني واثق أن هذه الشابة الحسناء لا علاقة لها بمثل هذا النوع من الجرائم.

ثم ضحك وأردف قائلًا لأليس:

- مزيدًا من القهوة، أرجوك.

واختلست ابنته يميلغود النظر إليه وقد أدهشها هذا التغيير المفاجئ الذي طرأ على أبيها، لقد كان منذ لحظات يتحدث بجفاف، ويبدو شديد الضيق والقلق، ولكنه الآن لطيف الحديث، جميل الصوت، باسم الوجه، متألق النظرات!

وعادت ميلدرد تحملق في هذه الشقراء وقد أدركت أن أباها ارتد إلى الشباب بسبب وجود هذه الفتاة في القاعة.

وقال السيد بريكارد للفاتنة الشقراء:

- إنني واثق أنى رأيتك من قبل!

ونظرت كاميليا إلى شارة النادي المثبتة في ياقة سترته. ثم أدركت أنه رآها في إحدى الحفلات الترفيهية التي يقيمها النادي لأعضائه العجائز بين الحين والآخر. وكانت إدارة النادي تحرص على استحضار الفرق الاستعراضية التي

تعـرض ممثلاتها عرايا تماما على المسرح. وقد كانت كاميليا واحدة من هؤلاء الذيـن أحيوا ليلـة حمراء من ليالي النـادي ولكنها بطبيعة الحال لم تر السـيد بريكارد، لأنه كان مجرد وجه بين مئات الوجوه المتراسة أمام المسرح أو مجرد عينين بين مئات العيون المحملقة في جسدها العاري تحت الأضواء الخافتة.

وأجابت عليه قائلة:

- ربما رأيتني في مكان ما، ولكنني لا أذكر أني ترفت برؤيتك قبل اليوم.

فألح السـيد بريكارد في السؤال قائلًا:

- ألم تكوني يومًا ما في الوسط الغربي؟

- كنت أعمل في مدينة شيكاغو!

- أين؟

- في عيادة لطب الأسنان.

فتألقت عينا السيد بريكارد وقال:

- أراهـن أنها عيادة صديقي الدكتور هـوراس ليفولز. لقد كنت أرتدد عليها كثيرًا.

- لا، إنني لم أعمل يومًا مع الدكتور هوارس.

وأصر السـيد بريكارد على مواصلة الحديث مع الفاتنة قائلًا:

- لسوف أتذكر أين رأيتك آن عاجلًا أو آجلا.

ولمـح بريـكارد أمارات الاشـمئزاز من موقفـه في عينَيْ ابنتـه. وكانت زوجته قد لمحت نفس هذه الإمارات في ذات الوقت، فقالت له:

- اليوت، هل تسمح وتأتيني بقدح قهوَة؟

وبدا كأن السيد بريكارد ينتفض عائدًا إلى أرض الحقائق، فقال بصوته العادي الجاف:

- آه، نعم، طبعًا.

وهنا فتح باب المطعم بقوة، وانصفق بقوة ودخل بمبلز كارسون وقد تغير سمته تماماً، فبعد أن كان مرتديًا ملابس العمل الملوثة بالشحم والزيوت، وبعد أن كان وجهه لا يكاد يبين تحت لطع هذه الشحوم نفسها، إذا به يدخل نظيفاً، أنيقًا لا يعيبه إلا بثور «حب الشباب» المنتشرة في كل وجهه.

ونظرت ليس إليه في دهشة ثم قالت للحاضرين:

- آه، انظروا إلى هذا الكرنفال المتحول!

وازداد شعور بمبلز بكراهيتها، ولكنه قرر أن يتجاهل تعريضها به، وجلس على المقعد الذي تركه السيد بركارد ليتقدم بالقهوة إلى زوجته، ثم قال:

- أريه قطعة من فطير الزبيب الجديد.

ثم التفت في اضطراب نحو الفاتنة الشقراء، وأردف قائلاً:

- ينبغي يا آنسة أن تتناولي قطعة من هذا الفطير، أنه رائع ونظرت كاميليا إليه، وأحست بالعطف عليه، ولأنها أدركت ما كان يجيش في صدره عندئذ من عواطف المراهقة. ومن ثم قالت برفق:

لا، شكرًا، لقد تناولت الإفطار في سان سيدو.

- لسوف أدفع لك ثمنها!

- أوه، شكرًا. لا أستطيع.

وقالت أليس ساخرة:

-ولكنه هو يستطيع، يستطيع، وهو واقف على رأسه أن يأكل شريطًا من الكعك والفطائر يمتد من هنا إلى شيكاغو.

ولما أعدت الفطيرة لتقتطع منها، قال لها بمبلز ببساطة:

-اجعليها قطعتين من فضلك.

فقالت أليس بقسوة:

- أعتقد أنك لن تقبض مليمًا وحدًا في الأسبوع التالى، لأنه، لأنك أكلت بكل أجرك فطائر وحلوى.

- وجعل بمبلز متوجعًا.. آه، لشد ما يكره هذا المرأة! ولكن هذه المرأة! ولكن هذه المرأة أليس، كانت مشغولة عنه بالنظرة إلى الفاتنة الشقراء، وتأمل جمالها الصارخ، وكنت في تلك اللحظة قد أدركت حقيقة الجو السائد في غرفة الطعام: أدركت أن عواطف الرجال جميعا كانت متجهة كلها نحو واحد كأنما هي مشدودة إليه بقو ة مغناطيسية.

وازدادت أعصابها توترًا وهى تفكر في تأثير هذه الفاتنة على جون. لسوف تعرف مدى هذا التأثير عندما يدخل القاعة. وكانت قبل لحظات تتمنى أن ترحل السيارة بالركاب حتى تنفرد بنفسها وتشرب إلى أن تفقد وعيها، أما الآن فإنها قد بدأت تتردد وتضطرب وترجو أن يحدث أي شيء يمنع سفر هذه الفتنة المتحركة مع زوجها في سيارة واحدة.

وقال أرنست هورتون:

- إن لدى حقيبة مليئة بعينات من ألعاب التسلية، ويمكنني أن أعرض عليك بعض هذه الألعاب الحديثة جدًا والتي لا تخطر على البال.

ونظرت كاميليا إلى الشارة الموضوعة في ياقة سترته وأدركت منها أنه من الذين قاموا بأعمال بطولية في الحرب الأخيرة.

وقامت الفتاة بصوت هادئ لارنست:

- كم مضى عليك من الوقت منذ تركب الخدمة العسكرية؟

- خمسة أشهر.

فعادت تتأمل الشارة ثم قالت:

- إنها شارة وسام التقدير من الدرجة الأولى. أليس كذلك؟

- هكذا يقولون. ولكنه لا يصلح لشراء من الفاكهة.

وضحك الاثنان. وقالت كاميليا:

- هل ثبته الرئيس الكبير بنفسه على صدرك؟

- أجل.

وانحنى السيد بريكارد ليلتقط بعض الحديث، حتى يستطيع الاشتراك فيه، هذا بينما كان بمبلز يقول لكاميليا في إلحاح:

- أؤكد لك أن فطيرة الزبيب هذه لا مثيل لها، تناولي قطعة منها.

- لا، لا أستطيع.

وقالت أليس لبمبلز:

- إذا وجدت ذبابة أخرى في قطعتك هذه، فسوف أعطيك بقية الفطيرة كلها فورًا.

وأدركت كاميليا، بإحساسها الذي قلما يخطئ في مثل هذه الحالات، أن هذه المرأة تكرهها. ومن ثم نظرت إلى المرأتين الأخريين في الغرفة،

ولم تلبث أن أدركت أن السيدة بريكارد سيدة لا تكره أية فتاة أو امرأة أجمل منها، أما في الفتاة ميلدرد، التي تحاول أن تبقى بلا نظارة على عينيها، فقد رأت أنها خطيرة، وتعنت ألا تصطدم بها لأيِّ سبب. وعادت تنظر إلى السيد بريكارد وقد رأت أنه أنموذج الكهل الثرى الذي تتمنى أن تعيش معه في حياة متبادلة المنفعة: هو بماله يضمن لها الاستقرار في الحياة وهي بجمالها تملأ عليه حياته.

وفي تلك اللحظة أقبل جون من غرفات النوى وقد ارتدى ملابسه النظيفة. ومشط شعره الأسود العزيز إلى الوراء. وبدا وجهه لامعا مشرقا بعد أن جاد حلاقته. وقال الرجل بصوته الرنان:

- هل أنتم مستعدون جميعا للسفر أيها السادة؟

وراقبته أليس بإمعان وهو يتقدم إلى قاعة الطعام، فلاحظت أنه لا يلتفت إلى الفاتنة الشقراء. ومن ثم أدركت أن الأمر سيكون خطيراً، إذ كانت تعلم أن تجنبه النظر إليها لا يعنى أنه لا يهتم بأمرها. وإنما العكس هو الصحيح.

وأقبل العجوز السيد فان برانت ذو العنق المتصلبة. وقال:

- يبدو أن المطر سينهمر مرة أخرى.

فقال له جون باقتضاب:

- أنك ستركب سيارة الجريهاوند التالية.

- لقد غيرت رأيي وسوف أمضى معكم، لأني أريد أن أرى المعبر. وبهذه المناسبة، لماذا لم تستعلم عن حالة المعبر مرة أخرى؟

- لقد استعلمت مرة، وهذا يكفى.

لا، هذا لا يكفى إطلاقًا، أنك هنا أجنبي، أي لا تعرف كيف ترتفع

المياه بسرعة في نهر سان سيدرو. لقد رأيت المياه بنفسي ترتفع بمعدل قدم في الساعة عندما تنهمر عليه السيول من الجبال.

فقال جون، في ضيق شديد:

- اسمع، إنني أنا الذي أقود السيارة، وأنا الذي أقدر الموقف على حقيقته، وأن لك مطلق الحرية في أن تمضي هنا أو تتخلف عنا فتلفت فان برانت حوله ثم قال:

- إنني لا أدرى، ولكنني قد أقدم شكوى إلى مدير المواصلات هنا، وما أنت إلا سائق سيارة عامة، فلا تنس هذه الحقيقة.

فقال جون:

- علم أيها السادة إلى السيارة.

ومرة أخرى لاحظت أليس أن زوجها لا يلتفت بنظراته إلى كاميليا، مما يدل، في رأيها، على أنه ملتفت إليها بكل عواطفه.

أما كاميليا، فقد تناولت حقيبة سفرها، وأسرعت خارجة إلى السيارة دون أن تنتظر أحدًا من الرجال، وكانت تشعر بالضجر منهم، كما أدركت أن الفتاة ميلدرد لا تحمل لها أي عطف أو مودة، ولكن الفتاة الأخرى، نورما، رأت أنه من الممكن اكتساب مودتها بكل بساطة.

وقالت كاميليا لنورما وهى تضع حقيبتها بالقرب من مقعدها:

- الديك مانع في أن أجلس هنا بجانبك؟

فالتفتت نورما نحوها ببرود وقالت:

- يمكنك أن تجلسي حيث تشائين، فإنني لا أمتلك هذه السيارة.

- ولكنني أرجو أن أجلس بجانبك، وسوف أخبرك لماذا فيما بعد فهزت نورما كتفيها، وأفسحت لكاميليا مكانا بجانبها، ثم قالت لها بعد برهة صمت:

- إلى أين ستمضين؟

- إلى لوس انجلوس.

- أوه، عجبًا، إنني ذاهبة إليها أيضاً، هل تقيمين هناك؟

- أحيانًا وأحياناً.

وكان الرجال قد صعدوا إلى السيارة وراحوا يتنافسون -خلسة- للجلوس في المقاعد القريبة من كاميليا، وكان جون قد تلكأ قليلا في قاعة الطعام حيث أخذ يتبادل الحديث مع أليس قائلًا:

- اطمئني وهدِّئي أعصابك، وحاولي أن تعودي إلى حالتك الطبيعية قبل أن أعود إليك، و إلا فسوف يأتي اليوم الذي لا أعود فيه إليك.

وصعد جون إلى مقعد القيادة حيث وجد، لسخطه الشديد، أن العجوز فإن برانت قد احتل أقرب المقاعد إليه هو، بينما جلس السيد بريكارد في مقعد أمامي، وكان الرجل الثري يريد في الواقع أن يجلس وراء كاميليا على اليمين حيث يستطيع أن يراها و يتبادل معها الحديث طوال الرحلة، ولكن السيدة بريكارد اختارت لجلوسها ذلك المقعد الأمامي، فلم يسع زوجها، ألا الجلوس بجانبها.

أما الراكب المحفوظ الذي جلس في أقرب مقعد إلى كاميليا فكان الفتى بمبلز، وكان أرنست هورتون هو الجالس بجانبه.

وجلست ميلدرد بمفردها على المقعد التالي لمقعد والديها.

وجلس جون وهو متوتر الأعصاب يتساءل في نفسه: لماذا أبقى مع أليس؟ لماذا استطاعت هي أن تقتضي كل هذه السنوات؟ لقد تزوجت قبلها أكثر من ست زيجات، ولم تكن الواحدة تعيش معي أكثر من عامين أو ثلاثة، أما أليس فقد أوشكت أن تنم العام العاشر من حياتها معي! فلماذا؟

وراح جون يستعرض الأسباب، فرأى أنه قد بلغ تلك السن التي يحب الرجل فيها الاستقرار في حياته، وانه أيقن أن أليس مخصلة في حبها له، ولا تعيش إلا لإرضائه، وهذه وحدها ميزة قلما يجدها في امرأة أخرى.

والتفت إلى أليس الواقفة بالباب، وابتسم لها ملوحا بيده ثم أدار المحرك، واستعد للرحيل.

وفيما كانت السيارة تنطلق على الطريق المسفلت الناعم، رفع جون عينيه إلى السماء، ولم يلبث أن أدرك أن فان برانت كان صادقًا في حديثه من أن السماء ستمطر مرة أخرى.

وانحنى العجوز عليه وقال باسمًا في خبث:

- أتعرف من أين تهب تلك الرياح العالية التي تجمع السحب بعضها إلى بعض؟ أنها تهب من الجنوب الغربي، وهذا يعني أن أمطارنا تأتي من الجنوب الغربي.

فقال جون ببرود: «ليكن...».

- ألا تعتقد أننا سنتعرض للخطر إذا انهمرت الأمطار؟

- أن الخطر موجود في كل مكان، وقد يموت خبير المفرقعات في فراشه، بينما تتحطم عظام العجوز الجذر تحت جرار زراعي.

- كيف يمكن هذا؟

- كل شيء محتمل!

- أنني لا أمتلك في مزرعتي جرارات زراعية على كل حال، و إنما استخدم في حرث الأرض أربعة أزواج من أقوى الجياد.

وكاد جون يقول له:

«أنني أعرف رجلًا مات برفسه من جواده».

ولكنه أثر الصمت

□□□

الفصل الثامن

في الطريق

جلس جون في مقعد القيادة يرقب الطريق الممتد أمامه حينا، ثم ينثني ويرقب الركاب حينا آخر بواسطة المرآة المستطيلة الموضوعة أمامه.

وكان الطريق مهجورًا، والبراري تمتد على جانبيه إلى سفوح التلال البعيدة، ولم يكن يمر به غير عدد قليل من السيارات. وقد شعر جون بالقلق حين رأى أن جميع السيارات التي مرت بجواره آتية من ورائه، ولم ير واحدة تأتي من ناحية مدينة سان جوان دى لاكروز، فهل معنى هذا أن المعبر قد انهار؟

سنا، لو أن هذا ما حدث، لما بقي أمامه إلا أن يعود بالركاب جميعًا إلى مدينة سان سيدرو حيث يتركهم وشأنهم في استراحة شركة الجريهاوند، وفى صفحة المرآة، رأى أرنست هورتون قد فتح حقيبة العينات، وراح يفرج بمبلز على بعض الدمى العجيبة التي تدور وتلف وتطير ثم تختفي! ولاحظ في الوقت نفسه أن نورما والفتاة الشقراء المدعوة كاميليا مستغرقتان في الحديث، وقد مالت كل منهما برأسها نحو الأخرى.

وزاد من سرعة السيارة قليلًا:

لقد خطر له أنه لن يستطيع أن يفعل شيئًا مع هذه الشقراء الفاتنة، إذ لم يكن ثمة وسيلة أمامه للوصول إليها. وقد بلغ جون هذه السن التي جعلته يعرف كيف يفرق بين الممكن والمستحيل. ولكنه في الوقت نفسه كان يعرف أن في مقدوره أن يجعل هذا المستحيل ممكنًا إذا واتت الفرص المناسبة.

وكانت نورما باردة متحفظة في موقفها من كاميليا في أول الأمر، ولكن كاميليا كانت في حاجة إليها لتتخذ منها درعا يحميها من السخف أثناء الرحلة، كما أنها أدركت أن ظروفهما متماثلة، وأن مصيرهما في الحياة واحد.

وقالت نورما بصوت خافت حتى لا يسمعها أرنست هورتون:

- إنني لم أذهب أبدًا إلى لوس أنجلوس أو هوليوود. ولست أدري أين أقيم أو ماذا أفعل حين أصل إلى أحداهما.

- أليست لديك فكرة معينة تنوين أن تنفذيها؟

- إنَّ كلَّ ما أفكر فيه الآن هو البحث عن عمل، في مطعم، أو في شيء من هذا القبيل، ولكني لن أفقد الأمل في الظهور على شاشة السينما يومًا.

ورقت ابتسامة خفيفة على شفتي كاميليا وهي تقول:

- عليك أولًا أن تنجحي في الحصول على عمل بمطعم، أما التمثيل السينمائي فإنه يحتاج إلى وقت طويل وجهد بالغ. -وهل أنت ممثلة؟ أنك تبدين كما لو كنت ممثلة فعلا.

- لا، إنني أعمل ممرضة بعيادات طب الأسنان.

- وهل تقيمين في فندق أم في غرفة مفروشة أم في مسكن؟

فقالت كاميليا وهي تهز كتفيها:

- ليس لدى مكان للإقامة في الوقت الحالي. وقد كان لى مسكن مشترك مع صديقة قبل أن أذهب إلى شيكاغو للعمل. فبدت اللهفة في عيني نورما، وهي تقول بسرعة:

- إنني أدخر بعض المال، وربما أستطيع أن اشترك معك في استئجار

مسكن خاص بنا. و إذا ظفرت بعمل في مطعم، فإننا لن نتكلف أكثر من إيجار المسكن؛ لأني سأعود من العمل ومعي الكثير من الطعام المتبقِّي.

والتمعت نظرة جائعة في عيني نورما، وهي تردف قائلة:

- ولا تنسى البقشيش أيضًا.

وأحسَّت كاميليا بالميل والمودة إلى هذه الفتاة الوادعة، ثم نظرت إلى وجهها الخالي من فنون الزينة، وقالت:

- سوف نرى كيف تسير الأمور.

وازدادت نورما ميلا نحو كاميليا وقالت:

- أنا أعرف أن لون شعرك الذهبي طبيعي، ولكنني أتمنى أن تعلميني كيف يمكن تصفيف شعري هذا الشبيه بديل الفرس؟

فضحكت كاميليا وقالت:

- لا شك أنك ستدهشين إذا علمت ماذا كان لون شعري في أول الأمر. ولكن، انتظري برهة.

ثم راحت تتأمل وجه الفتاة الوادعة، وتضع في ذهنها الخطوط الأولية التي يمكنها أن تجمل الفتاة بفنون الزينة وتجعل منها شخصية أخرى. وفجأة قالت لها وكأنما خطر ببالها شيء ما:

- أتعرفين يا نورما أنني أهفو إلى الحياة في الريف بين الحين والآخر؟ أنني أعتقد أن البساطة في الحياة هي أجمل ما في الحياة.

■ ■ ■

ونترك الفتاتين تتناقشان في هذا الموضوع، ونمضي إلى ميلدرد الجالسة بمفردها، فتراها تختلس النظر حينا إلى وجه جون، وحينا إلى وجهها في المرآة، ثم تكر بالذاكرة إلى تلك العاطفة المشبوبة التي اثرت فجأة في أعماق نفسها وجعلتها تتلوى اشتهاء لجون ولهفة عليه.

واستبد بها الغضب فجأة، وخامرها إحساس بالعار رغم إيمانها بأن أحدًا ما لم يفطن إلى تلك العاطفة، ألا إذا كان جون شيكو هو الذي استنتجها بفكرة الثاقب.

ولكن عبارة ما راحت تتردد في صدرها، بل راحت هي ترددها لنفسها، «أنها ليست شقراء، وليست ممرضة، وليس اسمها كميليا أوكس كما تزعم» ثم اذا بها تضحك لنفسها وتعود فتقول مفكرة:

«أني أحاول أن أحطمها، وهذه بلا شك حماقة، فهل أنا غيري؟ لماذا لا أعترف بأنني غيري! وإذا اعترفت فهل سيفيدني الاعتراف بشيء، لا، إنني لم أستفد شيئاً. ولكن هذه اللعينة جعلت من أبي أداة للسخرية، وأنا لن أغفر لها هذا. ولكن ما شأني أنا وعواطف أبي الخاصة؟ هل سأجعل من نفسي رقيبة عليه؟ إنني أريد فقط في مثل هذه الأحوال ألا يقول الناس عني إنني ابنته. ولكن هذه ليست الحقيقة كلها، وإنما الحقيقة هي أني أريد الذهاب إلى المكسيك بمفردي».

وتعود إلى المستز بريكارد فنجده جالسا في شيء من الضجر والشعور بالتعب. والمعروف عنه أنه يكون سريع الغضب عندما يستبد به الشعور بالضجر أو التعب. وكان في تلك اللحظة يحاول أن يتغلب على شعوره هذا بقوله لزوجته:

- يبدو أن هذه المنطقة زراعية خصبة. والمعروف أن كاليفورنيا تنتج معظم الخضروات التي تستهلكها الولايات المتحدة الأمريكية.

أما السيدة بريكارد فقد كانت تتصور نفسها في تلك اللحظة وهي جالسة في غرفة الاستقبال بمنزلها تتحدث إلى الضيوف قائلة:

«... وظلت السيارة تنساب بنا أميالا بعد أميال بين المروج الخضراء التي تتخللها الزهور الناضرة، وكأنها بستان جميل، وكانت معنا فتاة شقراء جعلت الرجال يرتكبون مختلف الحماقات أمامها، حتى عزيزي اليوت. وسوف أحاسبه على موقفه هذا بعد أسبوع. أما الفتاة نفسها، فكانت مسكينة يبدو عليها أنها من بنات الليل، وأنها تقيم بمفردها في الحياة، ولهذا كان شعوري نحوها أقرب إلى العطف منه إلى أي شيء آخر. وقد زعمت أنها معرضة، ولكنني أعتقد أنها ممثلة، ممثلة أدوار صغيرة كما هو معروف، فإن في هوليوود آلافا مثلها، أظن أن عددهن قد بلغ الآن ثمانية وثلاثين ألفا، وأسماؤهن كلها مسجلة في دفاتر المتعهدين، وكل منهن تعيش على أمل أن تسمع أجراس مجدها ترن في السماء يومًا».

وتميل رأس برنيس على صدرها قليلًا وقد شعرت بشيء من الجوع والتعب، ثم إذا بها تقول لنفسها فجأةً:

«ترى ماذا يخبئ لنا القدر من مفاجآت؟».

وعندما كانت السيدة بريكارد تستغرق في أحلام اليقظة، كان زوجها يعرف هذه الحقيقة فورًا، ويدرك أنها لا تسمع كلمة واحدة مما يقول، ومع ذلك كان ينتهز هذه الفرصة ليتحدث بصوت مسموع معبرًا عما يدور بذهنه من أفكار وآراء مختلفة، وكان يعتبر هذا تدريبًا رائعًا للحديث في المجالات والأوساط المختلفة دون أن يتلعثم أو يضطرب. إلا أنه في ذات الوقت كان يشعر أنه واقع تحت تأثير قوى ضخم يأتي إليه من المقعد الخلفي الذي تجلس عليه هذه الشقراء الفاتنة. ولشد ما كان يتمنى لو أنه كان جالسًا مكان هذا الفتى بمبلز، ومن لم يستطيع أن يختلس النظر إليها وهو يتحدث مع أرنست هورتون.

وفجأة أفاق من أفكاره حين سمع زوجته تسأله قائلة:

- كم عمرها في رأيك؟

وجفل قليلا حين سمع هذا السؤال الذي كان يدور في ذهنه في الوقت نفسه إلا أنه تمالك أعصابه وقال:

- عمر من؟

- هذه الفتاة، أعني الفتاة الجميلة الشقراء.

فقال في شيء من الخشونة جعلت زوجته تلتفت إليه في دهشة:

- ومن أين لي أن أعرف؟

ولكنه أدرك أنه ليس هناك ما يبرر خشونته، فأسرع وأردفَ قائلًا بصوتٍ هادئ:

- إن الفتيات الصغيرات مثلك أدرى بالفتيات الصغيرات مثلها! ولهذا يمكنك أن تقدِّري عمرها تقديرًا أدق من تقديري.

- أوه، إنني لا أستطيع، لأنها تضع على وجهها طبقة كثيفة من مساحيق التجميل، وكل ما أستطيع أن أقوله هو أنها فيما بين الخامسة والعشرين والثلاثين.

فقال السيدة بريكارد وهو ينظر من النافذة إلى التلال التي كانت السيارة تقترب منها:

- إنني لا أعرف، ولا يهمني كثيرًا أن أعرف، و إنما الذي يهمني حقًّا في هذه الرحلة هو ذلك الشاب ارنست هورتون، أنه شاب موهوب ملئ بالأفكار الجديدة وبارع في ابتكار مختلف الأساليب العصرية لترويج منتجات الشركات. والواقع أنه آثار اهتمامي حقًّا وأفكر، في أن أجد له عملًا بالشركة التي أرأس مجلس إدارتها.

فقالت السيدة بريكارد موافقة:

- إنه شاب لطيف فعلاً، كما يلوح من سلامته لغته. أنه كريم المحتد....

فقال بريكارد في تململ وضيق:

- أوه، ماذا هناك يابرنيس؟ ما شأن سلامة اللغة وكرم المحتد في أعمالنا؟ أن الرجل يكرم لقدرته على الإنتاج. وهذه هي الديمقراطية الخفيفة.

الديمقراطية تقول للرجل «أهم شيء في حياتك هو قدرتك على الإنتاج».

وكان بريكارد في تلك اللحظة يحاول أن يتذكر شكل شفتَيْ الفاتنة الشقراء، وكان يقول لنفسه: «لو أن شفتيها ممتلئتان تماماً، فهذا دليل على أنها امرأة ناضجة تعرف كيف تسعد رجلًا مثله».

ثم قال لزوجته بصوت مسموع:

- أريد أن أتبادل الحديث قليلا مع السيد هورتون قبل أن تفترق قبل نهايةِ الخطِّ.

- ولماذا لا تتحدث معه الآن؟

- أنه جالس بجانب ذلك الشاب الصغير.

- إن هذا الشاب لا يضير، ولا شك أن الشاب سوف يتنازل لك عن مقعده إذا طلبت هذا منه بلطف.

وكانت برنيس واثقة بأن الكلمة الطيبة، والعبارة الرقيقة الممتلئة بالمجاملة، فعل السحر في النفوس، وقد أثبتت لها التجارب أن هذه هي الحقيقة.

أما الشاب بمبلز، موضع المناقشة، فكان جالسًا يختلس النظر إلى كاميليا، ثم يعيش في أحلاك يقظته النابعة من همسات المراهقة، ويتصور نفسه راقدًا على متكأ من الحرير الناعم. وكاميليا شبه عارية بين ذراعيه، يقبلها، ويتخلل شعرها بأصابعه، ويهمس في أذنها بخفقات قلبه.

وكانت كاميليا في تلك اللحظة تقول لنورما:

- وكم أتمنى لو أنه كانت للقصر حديقة واسعة مترامية الأطراف، تتناثر فيها الأشجار الظليلة، وتكثر في جنباتها أشجار الفاكهة، ويقع في جانب منها حمام سباحة تحيط به المقاعد تحت المظلات...

وقالت نورما وهي تحس بغصة في حلقها:

- أخشى يا كاميليا ألا يتحقق لنا مثل هذا الحلم إلا في العالم الآخر.

وكان بمبلز يقو لارنست هورتون وقد أفاق من أحلام يقظته:

- يقولون أن في مقدوري عندما أجند، أن أتعلم مهنة ما، وأنا أتلق الآن برنامجًا بالمراسلة في هندسة الرادار. وأعتقد أنني أستطع استكماله أثناء الخدمة العسكرية!

- أنني لا أدرى، فالمعروف أن أدارة الجيش تهتم بمثل هذه الشئون خلال الحرب. أما في أوقات السلم..!

- هل خضت غمار معارك حامية يا مستر هورتون!

خضتها رغما عني وكنت في كل معركة أتمنى لو أن الهدنة أعلنت قبل أن أخوضها.

- في أية منطقة كنت؟

- كانت مناطق الحرب كلها متساوية في البشاعة.

- لعلي أستطيع بعد انتهاء مدة خدمتي، أن أعمل مندوبا مثلك لإحدى شركات الإنتاج.

فهز أرنست هورتون كتفيه، وقال:

- إنك عندئذ قد تموت جوعا قبل أن يثبت مركزك وتبلغ جزءًا من النجاح الذي تتمناه. لقد استغرقت أنا خمس سنوات لتوطيد مركزي. وإقامة العلاقات القوية بيني وبين المستهلكين. ثم قامت الحرب وانقطعت هذه العلاقات، وضاعت كل مجهوداتي التي بدلتها في تلك السنوات الخمس، وهاأنذا أبدأ من جديد. وليتني تعلّمت مهنة أستطيع أن أعيش من دخلها في حياة مستقرة مع زوجة وأبناء في بيت لطيف.

وكان أرنست يقو هذا كثيرًا، لاسيما عندما يسرف في الشراب، ولكن الحقيقة هي أنه كان يهوى الترحال والتنقل ولا يطيق البقاء مدة طويلة في مكان واحد. وقد حدث أن تزوج، ولكنه خرج من المسكن في اليوم التالي بعد الزواج، ولم يعد، حتى رأى صورة زوجته منشورة في الصحف عندما قبض عليها بتهمة الزواج من خمسة رجال في وقت واحد!

ثم سأل بمبلز قائلًا:

- لماذا لا تعود إلى المدرسة؟ فأنك لازلت في سن التلمذة.

فقال بمبلز:

إنني لا أريد أن أحشو رأسي بالعلوم النظرية، وأنى أعتقد أن طلبة الجامعات النظرية مجرد مجموعة من ذوى الرءوس الجوفاء. إنني أريد أن أتعلم في مدرسة الحياة.

والتصقت كاميليا بجانب نورما وراحت تتحدث إليها همساً، ثم إذا بالاثنتين تتفجران بالضحك بين الحين والآخر. وكانت السيارة في تلك الآونة

قد انعطفت في منحنى الطريق ومضت نحو المنطقة الجبلية المؤدية إلى المعبر وكان جون يعرف بحكم عمله أن السيارة سوف تقطع خمسة عشر ميلاً من المنحنيات الجبلية الوعرة قبل أن تصل إلى الطريق المؤدى إلى المعبر.

ومن ثم راح يركز انتباهه في القيادة، ولكنه مع هذا لم يكن يستطيع أن يمنع نفسه من اختلاس النظر إلى الشقراء الفاتنة التي كانت لا تكف عن الضحك من نورما وكأنهما تلميذتان في رحلة ممتعة.

ونهض السيد بريكارد ليستأذن من بمبلز في الجلوس مكانه. ولكن السيارة انحرفت بقوة في تلك اللحظة فلم يستطع السيد بريكارد أن يسترد توازنه فإذا به يترنح ويتراجع خطوتين ويحاول أن يستند على ظهر مقعده، ولكنه لم يتمكن، وإذا هو يقع جالسًا في حجر كاميليا.

ونهض مسرعًا مضطربًا وقد سمع صوت تمزق ثوبها، ثم التفت نحوها بوجه كله الاضطراب وهو يقول:

- إنني أسف جدًّا.

- أوه، لا عليك، أنك لم تكن تتعمد هذا طبعا.

- ولكنني مؤقت ثوبك.

- أستطيع أن أصلحه، أن الأمر ليس خطيرًا.

- ولكنني مصر على أن أدفع ثمن إصلاحه.

- لا لا، لا داعي لهذا إطلاقًا.

وقالت لنفسها:

«أنه يريد أن يعرف عنوان مسكني لكي يرسل ثمن إصلاح الثوب، هكذا هم جميعا، لا يتركون فرصة دون أن ينتهزوها لتحقيق أغراضهم».

وهنا قالت السيدة بريكارد لزوجها بصوت مرتفع:

- إليوت. ماذا دهاك؟ أكنت تريد أن تجلس في حجر هذه السيدة؟ وانفجر الجميع بالضحك، حتى جون، وعندئذ لم يعد ركاب السيارة غرباء وإنما أصبحوا، لى لحظة واحدة، كأنهم أسرة مترابطة الوشائج. لقد أزال الضحك المشترك ذلك الجو المتوتر الذي كان يرين عليهم منذ الصباح.

وقال بريكارد:

- إنك انسانة لطيفة يا مس كاميليا، والواقع إنني لم آت لأجلس على حجرك، وإنما لا تبادل الحديث برهة مع هذا السيد وأشار إلى أرنست هورتون، ثم أردف قائلًا لبمبلز:

- أتسمح يا ولدى بأن أجلس مكانك لحظة، فإنني أريد أن أتحدث مع السيد هورتون في موضوع مهم؟

«وأومأ الفتى برأسه، وترك مكانه للمستر بريكارد، هذا بينما كان العجوز فان برانت ذو العنق المتصلبة يقول لجون وهو يتأمل تكاثف السحب في السماء»:

- إنها ستمطر حتمًا.

فقال جون فورا:

- أعرف رجلًا مات برفسة قوية من أحد أجياده.

- هذا غير معقول! إنني لم أر في حياتي جوادًا يرفس صاحبه، لابد أن الرجل قد أخطأ في شيء ما.

- لقد قتلته على كل حال. قالها جون ثم قرر أن يلزم الصمت.

وكانت السيارة في تلك اللحظة تقترب من سفح هضبة، وكانت المتعطفات قد غدت أشد انثناء ووعورة.

وقال السيدة بريكارد لارنست هورتون:

- لقد اهتممت كثيرًا بحديثك معى في هذا الصباح يا مستر هورتون، وأنها لمتعة أن يتحدث الإنسان مع رجل ذكى كثير التجارب مثلك. إنني دائمًا أبحث عن رجال من أمثالك ليعملوا في شركتنا.

- شكرًا جزيلًا.

- ولكننا الآن نعانى بعض الشيء بسبب المسرحين من الجيش، أن واجبنا الوطني يحتم علينا أن نجعل لهم أولوية التعيين في المناصب الخالية، ولكنهم - بيني وبينك - أصبحوا غير صالحين للقيام أي عمل، لأنه لا شك في أنَّ الواحد منهم قد علاه الصدأ خلال أربع سنوات الحرب.

ونظر السيد بريكارد إلى وجه أرنست هورتون وهو يتوقع أن يرى عليه أمارات الرضا. فإذ به يفاجأ بمعالم الغضب والسخط ترتسم عليه بوضوح، وهو يقول:

- إنني أفهم ما تعنى يا مستر بريكارد، لأنني شخصيًا قد أمضيت من عمري أربع سنوات في الحرب.

فقال بريكارد مضطربًا:

- آه، نعم، نعم، ولكنك لا تضع في سترتك شارة الانتهاء من الخدمة العسكرية!

- لأنني وجدت عملًا أقوم به.

وأدرك بريكارد أنه ارتكب خطأ جسيماً، واختلس النظر مرة أخرى

إلى الشارة الموضوعة في سترة هورتون، ثم تذكر فجأة أنها ليست شارة أحد النوادى كما كان يظن، وإنما هي شارة وسام التقدير الذي لا يمنح إلا لمن قام بأعمال بطولية أثناء الحرب.

وقرر أن يصلح خطاه بسرعة فقال معتذراً:

- ولكن هذا الرأي لا يمنع من القول بأن المسرحين من الخدمة العسكرية فتيان أشداء بواسل عرفوا كيف يؤدون واجبهم في الدفاع عن بلادهم، ومن ثم وجب علينا أن نرد لهم الجميل.

فقال ارنست بصوت مفعم بالغضب:

- نعم، كما فعلتم في الحرب العالمية الأولى عندما تركتم المحاربين القدماء يكادون يتضورون جوعًا.

تمنى بريكارد في تلك اللحظة أن يقطع الحديث ويعود إلى مكانه، ولكنه رأى أن يبذل محاولة أخيرة ليمحو الأثر السيئ الذي تركه في نفس هذا الشاب فقال:

- إنني شخصيًا كنت رئيس لجنة المدافعين عن صفوفهم، وأيا كان الأمر فأنى سعيد بالتعرف عليك، وأرجو بعد العودة من الإجازة، أن تتفضل بزيارتي في هذا العنوان، لأنه يسرني جدًا أن أعهد إليك بالمنصب الذي يتفق مع مواهبك.

فلانت ملامح أرنست بعض الشيء، وقال:

- الواقع يا سيدي أنى ضقت ذرعًا بالتجول في كل مكان، وكثيرًا ما فكرت في الحياة المستقرة مع زوجة وأبناء، فهذه هي لحياة السعيدة يا سيدي، وما أهنأ الرجل منا حين يودُ آخر النهار ليجد أبناءه وزوجته في انتظاره! أنه في هذه الحالة ينسى كل ما يضطرب في العالم خارج بيته. نعم، أن الحياة في الفنادق ليست حياة.

- صدقت يا عزيزي هورتون، أنك تقول هذا لرجل يعرف صدق كلماتك، فأن زوج ووالد منذ واحد وعشرين عاما، ولو أتيحت لي حرية الاختيار لابدَّ من جديد مرة أخرى لما اخترت حياة غير هذه.

- إنك رجل سعيد الحظ، وإن زوجتك كما يبدو سيدة وسيمة طيبة القلب.

فقال ريكارد وهو يومئ برأسه:

- جدًّا، ولست أدرى ماذا كان في سعى أن أفعل بدونها!

- لقد تزوجت ذات مرة، ولكن زوجتي ماتت.

وحرص أرنست هورتون على أن ينطلق الكلمات الأخيرة بلهجة تنم عن الحزن مما جعل السيد بريكارد يقول له:

- إنني أسف يا عزيزي، وأرجو أن تخفف الأيام أحزانك. والآن إنني لا أريد أن أتدخل في شئونك الخاصة، ولكن حديثك عن إمكان تحويل بذلة عادية إلى بذلة سهرة، قد آثار اهتمامي، وأحب أن أتحدث معك بشأن هذا المشروع.

- وأنا أرحب بالحديث معك، ولكنني أكرر القول بأن منتجي بذلات السهرة، بل أصحاب مصانع الأقمشة، سوف يحاربون فكرتي حريًا لا هوادة فيها.

- ولكن هل سجلت مشروعك هذا؟

- نعم، سجلته على طريقتي الخاصة، إذ أوضحت الفكرة بالرسومات، ثم وضعتها في مظروف خدمته بالجمع الأحمر و إرسلته بالبريد المسجل إلى نفسي، وبذلك ضمنت تسجيل التاريخ عليه.

- وهل هذه الطريقة قانونية للتسجيل!

- لا أدرى، سوف أسأل بشأنها أحد المحامين.

ففكر بريكارد برهة ثم قال:

- ما رأيك مما، أنت وأنا، في تنفيذ هذا المروع، وإنشاءنا شركة توصية وأعلنا أننا ستنتج هذا النوع من البدلات على نطاق واسع.

فقال ارنست وقد بدأ يزداد اهتمامًا:

- ولكن بعض شركات بيع الأقمشة الكبيرة قد تبادر وتحاول شراء المشروع من القتلة..

- المشروع أم الشركة؟

- الشركة وحق الامتياز.

فابتسم بريكارد وقال:

- نبيعها ما تريد بالثمن الذي نفرضه، ونكون في هذه الحالة قد ربحنا مبلغا ضخما لا يخضع لضريبة أرباح المهن التجارية، وإنما لضريبة المهن الحرة.. انتظر. ويمكننا بعد ذلك أن ننشئ شركة أخرى في مدينة أخرى وهكذا.

وصاح أرنست قائلا في إعجاب شديد:

- وتكرر الموضوع، يا لك من رجل ذكى يا مستر بريكارد. أن هذا نوع من ابتراز الأموال ولكن على مستوى عال...

فقطب بريكارد جبينه وقال محتجًا:

- هذا نوع من التجارة الحرة يا مستر هورتون. إنني أعمل في السواق

الماليـة منذ خمســة وثلاثين عامًا، ولا يستطيع أحد أن يجد في سـجلّ أعمالي نقطة سوداء واحد.

- إنـني لا أنتقدك يا مسـتر بريـكارد، و إنما أعتقد انك مـن أبرع رجال المـال. ولكـن مشروعَنا هذا يحتـاج إلى رأس مال، وأنا لا أملـك المال اللازم لموضوع كبير الأهمية الآن ولكنني أستطيع أن افترضه من احد المصارف..

- ولماذا تريد المال وأنا أستطيع أن أقدم إليك ما تريد؟

- إنني أريد مالا لتسـجيل الفكـرة والحصول على حـق الامتياز بأسـرع وقت. وربما استعنت بمكتب التسجيل بواشنطن.

فقطب بريكارد جبينه وقال:

- لماذا كل هذه العجلة، أتعتقد أنني ربما...

- لا لا أبدًا، ولكنني أن أطمئن حتى أضمن تسـجيل الفكرة باسمي.

فتراخى بريكارد في مقعده وقال:

- افعل ما يحلو لك يا ولدى، وكل ما أسـتطيع أن أُوله لك هو أنني مستعد لمعاونتك في أي مشروع مثمر قد يخطر ببالك فتلفت أرنسـت حوله برهة ثم قال هامسًا:

- الواقـع أنني لا أشـك في أمرك يا سـيدي، ولكـن لى صديقتين من بنات الهـوى في لـوس أنجلوس، وأخـشى إذا ذهبـت إلى مسـكنهما أن أفشى سر الفكرة وأنا واقع تحت تأثير الخمر. هذه هي حقيقة الموضوع.

وتلفت بريكارد حوله أيضًا قبل أن يجيب هامسًا:

- وأنـا سـأمضى يومين في هوليـوود، وأرجـو أن نلتقي لـكي نتحدث في المشروع على نطاق أوسع.

- أتحب أن نلتقي في مسكن هاتين الصديقتين؟

- لماذا لا؟ أن الرجل منا يحب أن يرفه عن نفسه بين الحين والآخر ز أنني سأنزل في فندق بيفرلي ولشابر، فهل ستأتي لزيارتي فيه.

فقال أرنست:

- بكل تأكيد. ولكن أي النساء أحب إليك: السمراء الخمرية أم الشقراء الذهبية؟

- أوه، لا تخطئ الظن بي يا مستر هورتون، أنني أحب فقط أن أجلس مع هذا النوع من النساء لقضاء سهرة ممتعة، لا أكثر.

فابتسم هورتون وقال:

- ولكن الشهرة لا تكون ممتعة في رأيي ما لم تكن حمراء. وأن في استطاعتي إذا شئت أن أجعلك تقضي ليلة رائعة مع هذه الفاتنة الشقراء الجالسة في المقعد المجاور!

- اسكت أيها الخبيث!

وأحسّ بمبلز بالرغبة الشديدة لأن يهرش «حبة شباب» كانت تتكون في تلك اللحظة بجانب أنفه، ولكنه كبح جماح رغبته، ووضع يديه في جيبَيْ بنطلونه، ثم رأى أن يتسلى بالحديث، فلم يجد غير ميلرد أقرب الركاب إليه ومن ثم قال لها:

- كم أتمنى لو أتيحت لي فرصة السفر إلى المكسيك

فنظرت إليه باندهاش ولم تجب، فعاد يقول في شيء من الارتباك:

- وأتمنى أيضًا لو أتيحت لى فرص السفر إلى الصين لاشتغل مبشرًا وطبيبًا بين الأهالي البؤساء كما فعل سبنسر تراسي في فيلمه الأخير.

وراح بمبلز يقص عليها تفاصيل موضوع الفيلم، بينما كانت هي حاول جاهدة أن تشيح بنظراتها عن وجهه الممتلئ بالبثور الدامية ولما فرغ من حديثه، قالت بهدوء:

- لقد شاهدت هذا الفيلم.

وفي تلك اللحظة، كانت السيارة قد بلغت الهضبة التي تفصل تلك المنطقة عن نهر سان سيدرو، وبدأت في طريق الهبوط إلى النهر الذي كانت مياهه تتألق من بعيد في مجراه الملتوي كالأفعى الضخمة.

□□□

الفصل التاسع

أمام المعبر

في الوقت الذي سقطت فيه أليس شيكو فاقدة الوعي فوق كومة من الفواكه والفطائر أمام طاولة الخدمة بقاعة الطعام. وصلت السيارة بقيادة زوجها إلى الاستراحة التي يمتلكها السيد بريد وزوجته بالقرب من المعبر الأول في الطريق من زاوية المتمردين إلى مدينة سان جوان دى لاكروز.

وكانت السماء عندئذ قد تبدلت بكتل من السحب السوداء المنذرة بوابل من المطر الغزير، وكانت مياه النهر قد ارتفعت إلى قاعدة المعبر المصنوع من كتل الخشب والحديد على الطراز القديم، وكان السيد بريد، صاحب الاستراحة، قد ذهب أكثر من عشر مرات إلى المعبر ليطمئن عليه، وكان في كل مرة يعود وهو مكتئب السمات. وفى المرة الأخيرة رأى على صفحة الماء عجلًا غارقًا من العجول الممتازة في مزرعة صديقه جيمس وولتر، ومن ثم أدرك أن مياه النهر فاضت على تلك المزرعة واكتسحت عددًا من عجولها وأبقارها الممتازة.

ورغم البلاغات التليفونية التي قدمها إلى مركز الطرق والكباري في المنطقة، فإن أحدًا في المركز لم يحاول أن يسرع إليه لتدعيم المعبر وكان السيد بريد وزوجته يعرفان أن أعمالهما التجارية متعلقة بهذا المعبر، فإذا انهار، انهارت معه، أو ينبغي عليهما الانتظار حتى يقام في مكانه معبر جديد من الصلب.

وتوقفت السيارة أمام أنابيب البنزين في الاستراحة، وترك جون محركها

دائـرًا برهة قبل أن يوقفه، ثـم فتح الباب الجانبي وهبط منه في نفـس اللحظة التـي وصل فيها السـيد بريد إلى جانب السـيارة وتصافـح الرجلان بحرارة، وقال السـيد بريد:

- ألا ترى أنك جئت متأخرًا بعض الشيء؟

- لا أظن، إلا إذا كانت ساعتي متأخرة.

وهبـط بمبلز مسرعًـا ووقف بجانب الرجلـين. وكان في الواقع يريد أن يرى كاميليا وهى تهبط عسى أن يلمح شيئًا من ساقيها فيما فوق الركبتين.

وقال جون لبريد:

- كيف حال المعبر؟

- لا يسر، ويمنك أن تلقى عليه نظرة بنفسك.

- هلم نمضي إليه معًا.

وهبط بريكارد وارنسـت هورتون من السـيارة، ومـن ورائهما هبطت نورمـا ثم كاميليا، وكانت هذه خبيرة في الهبوط من السـيارات فلم يسـتطع بمبلز أن ير شيئًا.

ولكنهه قال لها:

- توجد بعض أنواع المياه هنا في هذه الاسـتراحة: فهل اشـترى لك شيئًا منها؟

فاستدارت كاميليا إلى نورما وقالت لها:

- ما رأيك يا عزيزتي؟

- لا بأس.

وارتسمت أمارات الاستياء وخيبة الأمل على وجه بمبلز، لأنه كان يأمل أن تقبل كاميليا دعوته بمفردها، ولكن الفتاة المجرية أفسدت مناورته.

وهتف جون قائلًا للركاب أنه ذاهب لإلقاء نظرة على المعبر. وسألت السيدة بريكارد عن دورة المياه، فقالت لها نورما أنها في الجانب الخلفي من الاستراحة.

وعند المعبر وقف الرجلان يتأملان حالته السيئة وهو يهتز بعنف تحت ضغط المياه الصاخبة الفائرة، وأخيرًا قال جون:

- ما معدل ارتفاع المياه في النهر؟

- نحو ربع متر في كل ساعة. ومن المتوقع أن تبدأ في الهبوط إذا لم تمطر السماء مرة أخرى. ولكنها إذا أمطرت، فسوف يفيض هذا النهر المتقلب ويغرق مساحات شاسعة في هذه المنطقة وعاد جون يقول وهو يتأمل المعبر:

- أعتقد أنه من الممكن عبوره بالسيارة، أو الاتفاق مع الركاب على أن يعبروه سيرًا على الأقدام ثم الحق بهم بالسيارة خالية. ولكن المهم. كيف حال المعبر الثاني؟

فهز بريد كتفيه وقال:

- إنني لا أدري، لقد حاولت الاتصال تليفونيًا بمركز الطرق والكباري فلم أستطع أن أجد أحدًا يرد علي. وأنا لا أنصح لك بالمرور على هذا المعبر إذا ضمنت أن المعبر الثاني سليم، وإلا كيف يكون الحال إذا مررت على هذا بسلام، ثم وجدت الثاني منهارًا، وعندما تأتي عائدًا تجد هذا أيضًا قد انهار. إنك عندئذ ستجد نفسك والركاب والسيارة محصورين بين فرعي النهر في أخطر منطقة معرضة للفرق السريع.

وهز جون رأسه، وقال:

- إن بعض الركاب سيتذمرون جدا إذا أنا لم أواصل الرحلة، لاسيما ذلك الرجل البغيض فان برانت.

- أتعني ذلك العجوز العابس؟ أنه مدين لي بسبعة وثلاثين دولارا ثمن بذور بعض النباتات. لقد أبى أن يدفع الثمن محتجًا بأن البذور قديمة وغير صالحة. ولكنه مدين لجميع أصحاب المتاجر في هذه المنطقة. أنه رجل خبيث حق. إذن فهو بين ركابك.

- نعم، وبينه أيضًا رجل أعمال كبير من مدينة شيكاغو. ولا شك أنه سيغضب أشد الغضب اذا لم تسر الأمور على هواه.

- حسنًا، عليك أن تختار الموقف الذي يرضيك.

فقال جون وهو يعيد النظر إلى صفحة السماء المكسوة بكتل الغمام.

- أعتقد أنه من الممكن المرور فوق المعبر الآن، ولكن السماء تنذر بالمطر، و إذا أمطرت فسوف ينهار هذا المعبر حتما.

وفجأة ابتسم جون وأردف قائلًا:

- ولكن هناك طريقة واحدة للخروج من هذا المأزق.

- ما هي؟

- أن أدعهم هم يقررون اتخاذ الخطوة المناسبة. فهذه هي الديمقراطية.

- لسوف يتقاتلون قبل أن يصلوا إلى قرار.

- ليتهم يفعلون لأتخلص منهم جميعًا.

■ ■ ■

وفي داخل الاستراحة، كان بمبلز يجلس متجهمًا وقد شعر أنه خدع في عملية شراء المياة الغازية لفتاتين، بينما كان يريد أن ينفرد بواحدة منهما فقط، وعبثا حاول أو يفرق بينهما، لأن كاميليا كانت قد اتخذت من نورما درعا يحميها من مثل هذه المناورات السمجة. أما نورما فكانت مشرقة الوجه بالابتهاج والأمل. لأنها عثرت على أول صديقة وعدتها بالإقامة معها، ومن يدري، فلعلهما تستطيعان استئجار مسكن خاص بهما، حيث تعيشان في مأمن من الذئاب البشرية.

وقطعت كاميليا حديث بمبلز من هندسة الديكور التي يتولى أن يتحدث عنها قائلة:

- شكرًا لك على هذا الشراب يا مستر كارسون. والآن أريد أن أمضي لاغتسل وأزيل بعض أوضار السفر عني، هل ستأتي معي يا نورما؟

والتمعت في عيني نورما نظرة حب وتفان، وهي تقول:

- نعم، نعم يا عزيزتي كاميليا أنني في حاجة أيضًا للاغتسال.

وكان كل ما تقوله كاميليا في رأيها صوابًا وجميلًا ورقيقاً، ولشد ما أخذت تبتهل إلى الله بكل كيانها: «يا رب، حقق أملي في الحياة مع هذه الصديقة اللطيفة».

وكان عورتون في تلك اللحظة جالسًا يعرق على السيد بريكارد إحدى اللعب اللطيفة التي تنتجها شركته، وكانت عبارة عن إناء من الخزف على شكل كأس، ويتصل به خزان على هيئة برميل صغير، ويتدلى من الخزان مقبض صغير اذا جذبه الإنسان، انسكبت منه كمية معينة من الويسكي أو أي شراب آخر في الكأس. لو ما حاولت السيدة بريكارد أن تبدى رأيها في هذا الاختراع، قال لها زوجها: على الفتيات الصغيرات إلا يحشرن أنوفهن في أعمال الرجال.

وكانت ميلدرج جالسة بمفردها، مرهقة، مكتئبة النفس، بادية البأم، تراقب محاولات بمبلز للانفراد بالفتاة الشقراء، وكانت لا تزال تحس بالنفور من هذه العاطفة المتأجّجة التي تريد أن تدفع بها إلى ذراعي جون شيكو، ولهذا كانت تبذل كل جهدها حتى لا تنهض وتبحث عنه لكي تظل قريبة منه.

وفجأة سمعت صوت العجوز فان برانت يقول لها:

يا سيدتي الصغيرة، إن طرف قميصك الداخلي يبدو من أسفل ثوبك.

فوثبت واقفة من فرط المفاجأة ثم قالت وهي تستدير برأسها لترى طرف الثوب:

- أوه، شكرًا جزيلًا.

- لو لم ألفت نظرك إلى هذا لأمضيت اليوم كله هكذا، وعندما تتبين الأمر في آخر النهار ستشعرين بالخجل وبالسخط على الدين رأوا هذا المنظر دون أن يلفتوا نظرك إليه.

- أوه، نعم، نعم، أعتقد أن حمالة القميص قد انفصلت.

- إن لا يهمني أمر القميص أو حمالته، ولكنني أردت فقط أن ألفت نظرك، وأرجو ألا تظنّي أن هناك دوافع أخرى جعلتني أنظر إلى ساقيك، فإن الفتاة منكن تظن أن جميع الرجال لا هم لهم إلا النظر إلى سيقان الفتيات.

وهنا ضحكت ميلدرد فجأة، فقال لها العجوز:

- ما السبب في هذا الضحك الآن؟

وظلت الفتاة تضحك ضحكا متصلا، وأخيرا قالت له:

- لا لا شيء، ولكنني تذكرت فقط أنك أكثر الرجال بحلقة في سيقان

الفتيات يا مستر برانت ولست أدرى كيف يكون شعورك إذا علمت أنني أرتدي ثوبًا وقميصًا داخليًا فقط، فهل تفهم ما أعني؟!

وازداد ضحكها، وهى ترى العجوز يطرف بعينيه، ويضطرم وجهه ويرتبك فجأة فلا يحير جوابًا. ثم مضت مسرعة نحو دورة المياه واثقة بأنها تركت العجوز في حالة عاطفية يرثى لها.

وفى دورة المياه رأت ميلدرد الفاتنة كاميليا وهى تقوم بعملية تجميل وجه نورما على الطراز الحديث، وقد جلست ميلدرد مدهوشة وهى ترى براعة كاميليا في توزيع مساحيق التجميل على وجه الفتاة العادية الجمال، حتى جعلت منها فتاة أخرى تمامًا.

وقالت ميلدرد أخيرًا:

- إنك بارعة حقًا في فن التجميل، وإني أحب أن أحتفظ ببعض نصائحك في هذا الشأن.

فقالت كاميليا:

- أوه، أن الأمر بسيط جدا، وما على الفتاة منا إلا أن تدرس وجهها يامعان وأن تعرف المواضع المناسبة لوضع مختلف مساحيق التجميل، وأنا لا أعترف بوجود فتاة جميلة وأخرى دميمة. وإنما الحقيقة هي أن هناك فتاة تعرف كيف تبدو جميلة، وأخرى لا تعرف.

وبعد أن أصلحت ميلدرد قميصها الداخلي بمعونة كاميليا. هتفت نورما قائلة بعد أن تأملت وجهها طويلًا في المرآة:

- ألا أبدو رائعة حقًا؟ من يصدق أنني الآن نورما القديمة التي كانت تبدو كالقطة الخائفة الهزيلة.

فقالت كاميليا باسمة:

- نعم يا عزيزتي، لقد أصبحت الآن فتاة أخرى. وهذا ما سوف يضاعف ثقتك بنفسك ويجعلك تنظرين إلى الحياة بمنظار جديد، ولكن شعرك لا يزال في حاجة إلى المزيد من العناية. وسوف تنظر في هذا الأمر عندما تحين الفرصة المناسبة.

فصاحت نورما كالطفل السعيد:

- هل يعني هذا أننا سنبقى معًا، وأننا سنبحث عن مسكن للإقامة معًا؟

ثم استدارت إلى ميلدرد وأردفت قائلة:

- تصوري يا سيدتي!! تصوري، لسوف يكون لنا مسكن خاص فيه أضواء خافتة، وأرائك وثيرة، ومقاعد أنيقة، ومطبخ كامل المعدات.. يا للروعة، يا للروعة!

ولكن كاميليا قالت بلهجة جادة:

- لسوف ننتظر أولا لنرى كيف تسير الأمور، وعليك بالصبر وعدم الإسراف في الآمال يا حبيبتي، أننا يا مس ميلدرد فتاتان عاطلتان في الوقت الحاضر، ومع ذلك فإن عزيزتي نورما تتحدث عن المسكن ذي الأضواء والأرائك!

فقالت ميلدرد:

- الواقع أننا مجموعة غريبة في هذه الرحلة.

- بل الحقيقة أننا لا نكاد نختلف كثيرًا في أعماق نفوسنا، فإن لكل منا رغبة خاصة يخفيها من الآخرين، ورغبة عامة يعلنها.

- أن الشخص الوحيد المتزن بيننا هو السيد شيكو، وهو نصف مكسيكي

من ناحية الأم، ولكن ذلك الغلام! أوه، يخيَّل لي أنه لا يتردد في الوثوب على أية واحدة منا إذا سنحت له الفرصة.

فقالت كاميليا برفق:

- أوه، أنه لا بأس به. كل عيبه أنه لا يعرف أنه يعاني من دور مراهقة حاد؟ وعندما يعرف هذه الحقيقة، فلا شك أنه سيكون أكثر سيطرة على أعصابه.

فهزت ميلدرد كتفيها وقالت:

- أو ربما يعيش طول حياته وهو يعاني من هذا الدور. انظري إلى ذلك العجوز فان برانت؛ أنه لا يزال في دور المراهقة حتى الآن، وإن كل أفكاره تدو حول الجنس، هذا اللعين!

فابتسمت كاميليا وقالت:

- عجبًا! أنه عجوز حاد.

وجلست ميلدرد على مقعد بجوار الحوض ثم قالت فجأة لكاميليا:

- اسمعي يا مس أوكس، إنني أريد أن أوجه إليك سؤالًا خاصًا. وهو أن أبي يعتقد أنه رآك في مكان ما من قبل، وهو يتمتع بذاكرة قوية، فهل تعتقدين أنك رأيته بدورك؟

ولاحظت ميلدرد نظرة الجفاء التي بدت في عيني كاميليا فجأة، وكان صوت هذه الأخيرة ينم عن البرود أيضًا وهي تجيب قائلة:

- لعله رأى فتاة تشبهني، ولا شك أن ذاكرته قد خانته هذه المرة أو ربما رآني وأنا أسير في طريق عام.

- إنني لا أحاول أن أعرف بعض أسرارك الخاصة يا مس أوكس، وكلنني فقط كنت أتساءل أين رآك أبي من قبل.

وفى تلك اللحظة تلاشى من المكان جو الصداقة والزمالة والمودة، وخيمت مكانه سحب الشك والتربص، وكأنما دخل عليهن رجل فجأة.

وقالت كاميليا بنفس الصوت البارد:

- لا شك أن ذاكرته قد خذلته هذه المرة، ويمكنك أن تصدقي أو تكذبي، فليس هذا من شأني.

وفى تلك اللحظة دخلت السيدة بريكارد وقالت لابنتها:

- أوه.. هل أنت هنا؟ لقد ظننت أنك ضللت الطريق وأنت تتجولين في هذه المنطقة.

فقالت ميلدرد:

- لقد انقطعت حمالة قميصي..

- حسنًا، أسرعي، لقد عاد السيد شيكو من المعبر وهو يدير الآن مناقشة كبيرة الأهمية.

- آه، شكرا لك يا عزيزتى..

قالتها لنورما التي تخلت لها عن الحوض، ثم أردفت قائلة:

-لسوف أبلل فقط طرف منديلي وأمسح الغبار عن وجهى، لماذا لا تتناولي عصير الليمون الطازج يا ميلدرد. أن السيدة يريد سيدة لطيفة، بارعة في إعداد شراب الليمون الطازج، وقد قلت لها أنها قد تظفر بشهرة عريضة في هذه المنطقة إذا هي تخصصت في إعداد عصير الفواكة الطازجة.

وهنا قالت كاميليا فجأة.

- إنني أتمنى لو استطعنا أن نجد ما نأكله هنا. فقد بدأت أشعر بالجوع، وأريد طعامًا وفيرًا.

فقالت السيدة بريكارد:

- وهكذا الحال معي، لاسيما ولا تزال أمامنا مسافة طويلة حتى نصل إلى المدينة التالية. ما اسمها؟

فقالت نورما:

- سان جوان دى لا كروز.

فكررت السيدة بريكارد الاسم في صوت منغم قائلةً:

- سان جوان دى لا كروز: أن للأسماء الاسبانية رنينا جميلًا.

وعادت نورما تنظر إلى نفسها في المرآة وهى لا تكاد تصدق عينيها بسبب التغيير الكبير الذي طرأ عليها.

□□□

الفصل العاشر

القرار الأخير

كان جـون شـيكو جالسًـا على مقعد مشـيت أمـام طاولـة الخدمة في اسـتراحة السـيد بريد، يشرب زجاجة مياه غازية وقد عقـد جبينه مفكرًا، وأخيرًا وضع الزجاجة ونظر إلى الجميع وقال فجأةً:

- هل أنتم جميعًا هنا؟ ألا ينقصكم أحد؟ آه، إني لا أرى السيد فان برانت بينكم.

فقال فان برانت:

- إنني هنا.

وكان واقفـا غير مرئيٍّ وراء أرفف الخـضروات الطازجة يفحصها، هذا بينما قال السـيد بريكارد:

- أريد أن أعرف مني سنـسـتأنف الرحيل. فان لدى أعمالا هامة أريد أن أنجزها في المواعيد المحددة.

فقال جون برفق:

- أعـرف هذا، ومن ثم أردت أن أتحدث إليكم جميعاً، أن المعبر سـليم حتى هذه اللحظة، ومن الممكن اجتيازه بالسـيارة. أما المعبر الآخر فليست لدينا أية أنباء عنه. أنه قد يكون سليما، أو منهاراً. فإذا كان منهارًا وحاولنا العودة ولم تسـتطع أن نجتاز المعبر الموجود هنا مرة أخرى، فسـوف نجد أنفسـنا محصوريـن في منطقة انحناء النهر، وهـى منطقة خطرة قد يجرفها الفيضـان في أية لحظة قبـل أن يدركنا أحد بالنجدة اللازمة. وأنا شـخصيًا

ليس في مصلحة خاصة في هذا الموضوع فإذا شئتم أن تغامروا باجتياز الـ أعود بكم - إذا شئتم أيضًا - إلى مدينة سان سيدرو حيث ينصرف كلُّ واحدٍ منّا حسب ما يحلو له، وعليكم الآن أن تتفقوا على رأى معين أما بالإجماع أو بالأغلبية المطلقة.

وعاد إلى زجاجة المياه الغازية يرفعها إلى قمة بينما قال السيد بريكارد بصوت مرتفع.

- سمع يا صاحبي. أنني لم أنعم بإجازة سنوية منذ أعوام طويلة، لقد كنت مديرًا لأحد المصانع الحربية أثناء الحرب، ولم أظفر خلالها بإجازة أسبوع كامل، وهذا يعنى أنني في أول أجازة كاملة لى منذ أعوام، وأريد أن أنعم بها، فكيف تريد منى أن أعود أدراجي إلى مدينة سان سيدرو وبذلك تضيع ثلاثة أيام من هذه الإجازة الثمينة سدى!

فقال جون:

- إنني آسف يا مستر بريكارد، إنني لا أقترح هذا عن قصد وإنما أخشى إذا وقعنا في مصيدة فرعى النهر أن تضيع منك الإجازة كلها سدًى.

وهنا خرج فان برانت من وراء أرفف الخضروات الطازجة، وتقدم ببطء حتى وقف أمام جون، ثم قال وهو يعقد يديه وراء ظهري:

- لقد سمعت كل ما قلته يا هذا، فهل تعتقد أن في مقدورك خداعنا وإضاعة هذه الأيام سدى من عمرنا وتعطيل أعمالنا! أن لدى قضية هامة يجب أن أحضرها في العاشرة من صباح الغد بمحكمة مدينة سان جوان دي لاكروز، ومن ثم يجب أن أصل إلى هذه المدينة اليوم بأية طريقة. وعليك أنت أن تجد لنا هذه الطريقة لأنلك تحمل امتياز هذا الخط الوحيد ويجب أن تتحمل أعباءه ومطلبه أيضًا.

قال جون:

- وهـذا ما أريد أن أفعلـه، ولكن ليس من أعياد الامتياز أن السـبب في قتل الركاب.

- وهـذا يرجـع إلى جهلـك بتضاريس هـذه المنطقـة، وكان ينبغي على المسـئولين أن يتأكدوا أولا من إلمام السائق بكل نواحى هذه المنطقة قبل أن يمنحوه حق الامتياز والترخيص، ولكنهم كلهم لصوص.

ثـم صمت برهـة، وحانت منـه نظـرة إلى نورما، وبـدأ الاندهاش واضحًـا عليه وهو يـرى التغيير الذي طـرأ عليها، ولو أنـه أطال النظر لحظـة واحدة أخرى، لإثارة ضحك الجميع، إلا أنه تنبه لنفسـه، فالتفت إلى جون وقال له:

- تقـول أنـه ليس لدينا غير طريقتين: فأمـا أن تغامر ونمضى لنواجه المجهول بعد المعبر الأول، أو تعود أدراجنا إلى سـان سـيدرو ولو أنك خبير بهـذه المنطقة، لعرفـت أن ثمة طريقًا ثالثًا يمتد بجانب النهر، وكان يسـتعمل قبل إنشـاء المعبريـن لمرور المركبات على اختـلاف أنواعها. فنظر جون إلى بريد متسـائلا، فأجاب هذا قائلاً:

- لقد سـمعت بوجوده، وهو يدور حول ثنية النهر الواسـعة، ولكنى لا أعرف كيف حاله الآن.

فقال فان برانت:

- لقد ظلت المركبات تستعمله مائة عام.

وقال بريد:

- أعرف أن الطريق لا بأس به مسـافة ميلين، أما فيما عدا ذلك فلا أعرف

إلا أنـه يصعـد إلى الجبل من الناحيـة الشرقيـة، هنـاك، ولكـن من المحتمل أن تكون العوامل الجوية قد محت آثاره.

وصاح فان برانت مهلّلا:

- أنـا الـذي تنبأت بالمطر، وأنـا الذي قلت لكم أن النهر سـيفيض، وأن المعابـر عليـه قـد لا تحتمل الفيضـان، وأنا الـذي دللتكم على هـذا الطريق الثالث، فماذا تريدون مني أكثر من هذا؟ لعلكم تريدون أن أقود لكم هذه السيارة اللعينة؟

فقال جون بحدة:

حسن ألفاظك يا مستر برانت ولا تنس أن معنا سيدات! فهز فان برانت كتفيه وقال:

- يا لها من رحلة كانت من أولها.. شؤما!

واستدار جون إلى الباقين وقال لهم:

- إنَّ حقَّ الامتياز الذي معي يحتم على السـير عن طريق المعابر، وأنا لا أعرف شـيئًا عن الطريـق القديم، بل لا أعـرف إذا كان من الممكن اجتيازه بالسـيارة أم لا. وعليكم الآن أن تقرروا ماذا تريدون. وكل ما أرجوه لنفسي هو ألا تنحوا علي باللائمة فيما بعد.

فقال السـيد بريكارد:

- إنـني تعودت ألا أقـف في منتصف الطـرق، وأريد أن أصـل إلى لوس انجلوس في الوقت المناسب، لأن لدى تذاكر سفر بالطائرة منها إلى المكسـيك. فهل تعرف كم ثمن تذكرة السـفر بالطائرة أيها الرجل؟ والآن يجب أن نمضي في طريقنا، فهل تعتقد أن حالة المعبر تندر بالخطر؟

- نعم.

- وترى أنك لا تضمن اجتيازنا للطريق القديم، أليس كذلك؟

- نعم.

- هذا يعني أن علينا أن نختار بين أمريكن كلاهما مر.

وهنا قالت السيدة بريكارد:

- أيا كان الأمر يا عزيزي اليوت، فيجب أن نصل بسرعة إلى إحدى المدن، إنني لم أستحم منذ ثلاث أيام.

وقالت ميلدرد:

- إنني أوافق على اتخاذ الطريق القديم، وليكن ما يكون.

ونظر جون إلى نورما وقد ادهشه ما طرأ عليها من تغيير، ولاحظت هي دهشته بقلب خافق، ولكنها أطرقت برأسها وقالت:

وأنا أوافق على الطريق القديم.

وهنا قال أرنست هورتون:

- وأنا لا يهمني كثيرًا أن أصل إلى لوس انجلوس في الموعد المحدد أم بعده بأسابيع ولهذا فإني سأمضي مع الأغلبية.

وهنا ضرب فان برانت طاولة الخدمة بكفه وقال معترضا:

- إن السماء سوف تمطر، ومن المحتمل أن تقع السيارة في حفرة مملوءة بالماء لا يمكننا أخراجها منها، ومن المحتمل أن يغدو الطريق الصاعد إلى سفح الجبل زلقًا فلا تستطيع العجلات أن تمضي فيه، وهذا يعني أننا معرضون لخطر التعطل في منطقة موحشة قد تظل بها يومًا أو أكثر قبل أن تأتينا النجدة.

فقال جون مندهشًا:

- ولكنك أنت الذي اقترحت الطريق القديم.

- ولكنني لم أقترح استخدامه في مثل هذه الظروف.

- إنَّ أحدًا لا يرغمك على الركوب معنا، ويمكنك البقاء في هذه الاستراحة حتى تعود إلى مدينة سان سيدرو مع أية سيارة في الطريق إليها.

- وقضيتي غدًا في مدينة سان جوان دى لاكروز؟

وهز جون كتفيه في يأس، ونظر إلى الجميع متسائلاً، ثم قال لبمبلز:

- وأنت يا كيت، ما رأيك؟

- إنني مع الأغلبية يا ريس.

-إذن فقد اخترنا جميعًا، فيما عدا واحدًا، الطريق القديم ولما حاول العجوز أن يمضي في احتجاجه، استدار جون إلى السيد يريد وقال له:

- أريد منك بعض الأدوات، وسوف أعيدها إليك عند عودتنا.

- أي نوع من الأدوات؟

- جاروف ومعول وكمية من الحبال ورافعة.

- أوه، إذن فأنت تتوقع أن تغوص عجلات السيارة في الوحل!.

- كل شيء متوقع في مثل هذه الظروف.

- حسنا، اذهب إلى قسم الأدوات القائم في مبنى صغير وراء الاستراحة، بينما قال أرنست لكاميليا:

- إنني مستمتع بما يحدث تماما.. فالإنسان لا يجد مثل هذه المآزق الممتعة كل يوم.

فقالت الفتاة وقد فهمت غرضه الحقيقي:

- إنني فقط متعبة، فقد ظللت اركب سيارات السفر خمسة أيام لم أغير ملابسي فيها، ولم أنم كما ينبغي ليلتين.

- ولماذا لم تسافري بالقطار؟ لقد جئت من شيكاغو. أليس كذلك؟

- نعم، شيكاغو.

- إذن كان في مقدورك أن تركبي القطار الفاخر الملحق به مركبات الأكل والنوم.

فهزت كاميليا كتفيها، وقالت:

- ومن أين لي المبلغ الكافي لركوب مثل هذا القطار؟ أن ما معي من نقود لا يكاد يكفيني أكثر من أسابيع قليلة حتى أجد عملًا آخر. ولهذا فإني أفضل سريرًا لشخصين على سرير لشخص واحد! فابتسم ارنست وقال بغموض:

- هل تعنين ما تقولين حقًّا؟

- نعم، أليس هذا أفضل من اللف والدوران؟

- إذن فأن تحت أمرك.

- شكرًا.

وكانت نورما تراقبهما وتحاول أن تفهم المعاني التي ينطوي عليها حديثهما، ولكنها لم تستطع أن تفهم شيئًا، ومن ثم اكتفت بأن أخذت تلتهم وجه كاميليا إعجابًا وحبًا وإخلاصًا.

وهنا سمع الجميع صوت جون من الخارج يقول:

- هلم أيها السيدات والسادة.

الفصل الحادي عشر

الـهـرب

كان الطريق الخلفي الذي يدور مع نهر سان سيدرو طريقا قديما جدا لا يكاد أحد يعرف تاريخه.

وكانت المركبات تستعمله حقا، وكذلك المسافرون على متون الجياد، وفى مواسم الجفاف كانت الماشية تساق فيه إلى النهر حيث كانت ترقد تحت ظلال الشجر أثناء الهجرة، وتشرب من البرك المحفورة في مجرى النهر. ذلك أن نهر سان سيدور كان في فصول الجفاف تكاد تجف مياهه أما في فصول الأمطار فيمتلئ ويهدد بالفيضان في أكثر المواسم. وكان الطريق في الواقع لا يعدو أن يكون شريطًا من الأرض يمتد بحذاء النهر الملتوي، ولا تحدده إلا آثار العجلات وحوافر الجياد، وهو في الصيف كثير الغبار وفى الشتاء كثير الأوحال، وبعد أن قل استعماله كثرت فيها الحفر والمطبات، وتساوت أجزاء منه مع الأراضي المحيطة به.

في هذا الطريق استعد جون ليقود السيارة بعد أن جلس في مقعد القيادة منتظرا حتى يستقر الجميع في مقاعدهم ومصمما على أنه لو تعطلت السيارة لسبب ما، فسوف يتركها ويمضى. يمضى إلى حيث لا رجعة.

وأن هذا الخاطر ليملأ نفسه بالابتهاج، وكأنما هو تلميذ يوشك أن ينال إجازته السنوية التي سيقضيها في مناطق مليئة بالسحر والمغامرات.

وقال للركاب بصوت ينم عن بهجته الخفية:

- إنني لا أدرى هل سنستطيع اجتياز هذا الطريق أم لا.

وسرت موجة من القلق بين الركاب وهم يحسون بهذه البهجة الخفيه التي بدت في صوت جون!

وانسابت السيارة منحرفة إلى الطريق القديم، وازداد وجه السماء تليدًا بالسحب المتكاثفة، وبدأ للجميع بوضوح أن المطر ى هذه المنطقة سوف ينهمر بغزارة كأنما يسقط من أفواه القرب. وقد قال فان برانت في زهو:

- إن المطر قد أوشك على الانهمار.

فقال جون: نعم.

وقال السيد بريكارد بصوت مرتفع:

- ما طول هذا الطريق؟!

- يقولون ثلاثة عشر ميلا وربما خمسة عشر.

وانطلقت السيارة على الطريق القديم، وانطلقت معها أفكار جون.

وكان بين الفينة والفينة ينظر إلى تمثال صغير للعذراء معلق - على سبيل البركة - في سقف السيارة أمامه مباشرة.وفى خلال هذه الفترة التي كانت السيارة تجتاز فيها الطريق الموحل، راح هو يحدث العذراء بأفكاره قائلًا:

«أنت يا سيدتي المقدسة تعرفين أنني لم أكن سعيدا في السنوات الأخيرة، وأنني لم أرض البقاء في المصيدة التي وقعت فيها إلا بدائع من الشعور بالواجب، وهو شعور ليس متأصلًا في نفسي كما تعلمين، لاسيما إذا كان هذا الواجب لا فائدة لي فيه. وأن الآن سأضع بين يديك اتخاذ قرار أخير في مصيري، لأني لا أستطيع أن أتحمل بمفردي مسئولية الفرار من زوجتي، ومن مؤسستي الصغيرة.

فلو كنت أصغر سنا، لما ترددت في اتخذا هذه الخطوة، أما الآن، فأنى بلغت سن الكهولة، وتعودت على الراحة، ولم تعد لعضلاتي قوتها، ولا لجسمي قوة احتماله. وأنى أضع مصيري الآن بين يديك، وأنا أسير على هذه الطريق بغير إرادةٍ منّي.

فإذا تعطلت السيارة أو غاصت عجلاتها الخلفية، وكان في مقدوري بأية وسيلة ممكنة أن أعدها إلى العمل، فلن أتردد ف ذلك، وإلا كان ثمة احتياطات لازمة لضمان اجتياز الطريق في سلام، فسوف اتخذها، أما إذا رأيت لحكمة خفية أن تغوص السيارة مثلًا حتى محاورها بحيث لا يمكن انتشالها إلا بمساعدات خارجية، فإنص سأفهم من هذا أنك تريدين منى أن انطلق إلى حياة جديدة».

وتنفس جون بعمق ونشوة، وتألقت عيناه بالترقي والأمل، وكان في مقدور ميلدرد أن ترى وجهه في المرآة الموضوعة أمامه، ومن ثم عجبت لما يبدو عليه من نشوة و إشراق وابتهاج! وقالت لنفسها: هذا هو رجل.. رجل كامل الرجولة، رجل من النوع الذي تشتهيه المرأة الكاملة الأنوثة أنه رجل يأبى أن يكون في أعماق وجدانه أي إحساس أنثوي، بل يأبى أن يغوص في أعماق نفسية المرأة، لأن هذا يستلزم الإلمام بمشاعرها الخاصة، وهو يأبى أن يفعل هذا.

وزال كل شعور من عواطفها الجنسية المنسوبة نحوه، أنها عواطف طبيعية لفتاة مكتملة الأنوثة مثلها، نحو رجل مكتمل الرجولة مثله. فلماذا تنفر من عاطفة طبيعية كهذه، ولماذا تحاول كبتها والقضاء عليها؟

وتنهدت أخيرًا في ارتياح وكانت أمُّها تكتب في ذهنها عندئذ خطابًا آخر إلى صديقتها ايلين تصف فيه بقية هذه الفترة من الرحلة.

وقال فان برانت عندما اقتربت السيارة من منطقة يرتفع فيها الطريق تدريجيًا:

- هل لديك سلاسل تمنع العجل من الانزلاق إلى الخلف؟

فقال جون في سرور:

- لا إنني لي اشتر هذا النوع من السلاسل حتى قبل الحرب فصاح فان برانت قائلًا، وهو يشير نحو الشرق:

- في هذه الحالة لن تستطيع أن تمضي في الطريق الصاعد إلى ذلك السفح.

ثم أردف قائلًا للركاب:

- إن السيارة تمضي على الطريق المستوى بلا عوائق أو صعوبات، ولكنها لن تستطيع أن تصعد ذلك الطريق المرتفع، عند الشرق، بسبب وُحُولَةِ الطرق.

وكان بمبلز في تلك اللحظات يشعر أيضًا بلون عجيب من البهجة والرضا. إذ كان يكفي أن يشعر بوجود كاميليا على مقربة منه حتى يحس أن الحياة جميلة كأجمل ما ينبغي أن تكون. ذلك أن عصارة المراهقة التي تلهب دمائه، كانت تجعله لا يفكر ليلا ونهارا إلا في شيء واحد، وهو جسد المرأة.. وكلما كانت المرأة شابة وجميلة، كان تفكيره فيها يزداد تركيزًا وقوة.

وكان منذ رأى كاميليا وهو يشعر أن كل أفكاره وأشواق جسمه تتجه إليها، وتتركز فيها، ومن ثم كان يتصور نفسه وهو يتقدم طالبًا الزواج منها، ثم وهي تقبل هذا العرض، ثم وهو يفضي معها الليلة الأولى، ليلة العمر. ولكنه لا يلبث أن يشعر بالحيرة والارتباك حين ينظر في اتجاهها. فيرى أنها لا تكاد تشعر بوجوده!

وسمع بمبلز همسات المراهقة تطن في أذنه قائلة: حسنا جداً، إذا لم استطع أن انال كاميليا فقد استطيع الظفر بنورما. أنني لا أخشاها كما أخشى ربة الجمال، كاميليا هذه! ومن ثم راح، بلا وعي، يفكر في الوسائل التي يمكن بواسطتها الإيقاع بنورما بين أحضانه. وفي تلك اللحظات كانت «حبة شباب» جديدة قد تنضجت، فمد يده بلا ارادة وهرشها بظفره، فانثالت منها الدماء، وهنا أسرع ووضع منديله على خده، ودس يده الأخرى في جيبه حتى لا يعود إلى عملية الهرش!

وكان السيد بريكارد يحاول دائمًا أن يزيل كل شك في نزاهته قد يخامر ذهن أرنست ومن ثم قرر أن يقدم إليه اختراعًا صغيرًا بلا مقابل، كان قد فكر فيه من قبل، وها هو ذا يقول له:

- إن لدى فكرة جديدة عن أزرار أكمام القميص، وأرجو أن تعرضها على شركتك فربما تعجبها وتوافق عليها.

فقال أرنست هورتون بلا اهتمام في أول الأمر:

- إن شركتي لا تهتم إلا بألعاب التسلية والفكاهة، ولكن لا بأس أن يسمع الإنسان أية فكرة جديدة.

- إن الواحد منا قد يقع في مأزق حين يحاول أن يشعر أكمام القميص فوق المرفق، فلا يستطيع الإنسان أن يعيده إلى مكانه. ولا يستطيع في الوقت نفسه أن يفك الأزرار!

فهزَّ ارنست كتفيه وقال.

- هناك نوع من الأزرار يشبه «الكبسولة» يمكن فكها بسهولة.

- إنها أنواع رخيصة قلما يقبل عليها أحد.

- إذن ما هي فكرتك الجديدة؟

فابتسم السيد بريكارد ثمّ قال:

- فكرة بسيطة وعملية، وهي أن تربط بين كل زوج من الزرابر لولب من الصلب يتسع عندما يشمر الإنسان كمه وينكمش عندما يعاد الكم إلى مكانه. وبطبيعة الحال يمكن وضع هذا اللولب داخل أنبوبة ذهبية للنوع الثمين، أو معدنية للنوع الرخيص.

فأومأ ارنست برأسه وقال:

- هذه فكرة طيبة يا سيدى، ومن السهل تنفيذها.

- يمكنك أن تتبناها وتستفيد بكل ما يعود عليك من أرباح عند تنفيذها.

فنظر ارنست إليه مندهشًا وقال:

- هل تعني يا سيدى أنك تتنازل عن حق استغلالها؟

-نعم نعم. هذا ما أعنيه بطبيعة الحال. لأنني أعجب دائمًا بالشبان الموهوبين المكافحين أمثالك. وأنه ليسرني جدًّا أن أقدم إليهم أية خدمة ممكنة لمعاونتهم على شق طريقهم في الحياة.

فقال ارنست وهو يتناول مفكرته من جيبه:

- إنني عاجز عن شكرك يا سيدي، ولكن التنازل يجب بطبيعة الحال أن يكون كتابيًا، ولهذا أرجو أن نلتقي لمناقشة الموضوع أثناء وجودك في هوليوود.

ثم غمز بعينيه خلسة نحو السيدة بريكارد وأردف قائلًا وهو يقدم الورقة المنزوعة من المفكرة:

- هذا عنواني ورقم تليفوني فندق آلوها آرمز، هستيد 5523 الغرفة 12 ب.

وتناول السيد بريكارد قصاصة الورق ووضعها في حافظة نقوده ثم التفت إلى زوجته وقال:

- هل أنت بخير يا فتاتي الصغيرة؟

- نعم، نعم، لقد كاد ذلك الصداع اللعين يهاجمني، ولكنني قاومته وأكدت لنفسي أنني لن أصاب به اليوم على الأقل حتى لا أفسد الأجازة عليك يا عزيزي.

- إنني سعيد جدًا يا عزيزتي.

ثم وضع يده على ركبتها وضغط عليها قليلا، ولكنها ضربته على يده مداعبة.

وكانت نورما قد وضعت فمها بالقرب من إذن كاميليا حتى لا يسمع أحد حديثهما، ولاسيما بمبلز الذي كان يحاول جاهدًا أن يلتقطه وقد كانت في تلك اللحظة تقول لكاميليا:

- إنني في الواقع وحيدة في الحياة، ليست لى أسرة إطلاقاً، أعنى ليس لى إخوة أو أخوات أو والدان.

وعادت تقول:

- وعندما يكون الإنسان وحيدًا في الحياة يقول ويفعل أشياء عجيبة. فمثلا كنت أحب أن أكذب على الناس، وأن أتظاهر أمام الناس على غير حقيقتي، بل كنت أخدع نفسي وأتصور أنى أحب نجمًا سينمائيًا معيناً، ثم.. ثم أتخيل نفسي، وأنا زوجة له!

ويبدو أن العبارة الأخيرة انفلتت من لسانها رغما عنها، لأنها لم تكن تقصد أن تتمادى إلى هذا الحد في التصريح بكل ما يدور بذات نفسها، ثم أنه

ما كان ينبغي - في رأيها - أن تقول هذا، لأنها شعرت عندئذ كأنها خذلت السيد جيبل، ولكن عجبًا! أنها تتحسس مشاعرها وتفحصها، فتجد أن هذه المشاعر لم تكن كما كانت بالنسبة للمستر جيبل، لقد تحولت كلها إلى كاميليا، وقد صدمتها هذه الحقيقة وجعلتها تتساءل: ترى هل أنا هوائية متقلبة!

وقالت كأنها توضح الأمر:

- إن الإنسان عندما يكون محرومًا من الأسرة والأصدقاء، يحاول أن يصنعهم ولو بخياله، أليس كذلك يا حبيبتي؟ أما الآن، فلا داعي لأن أصنع من الأوهام أهلا وأحباباً، لأنك ستقيمين معي في مسكن واحد وتمثلين على حياتي.

وأدارت كاميليا وجهها حتى لا ترى أمارات اللهفة والتفاني في الاستسلام المطلق في عيني نورما. ثم قالت لنفسها في حيرة: «يا للكارثة!

ماذا أفعل الآن، لقد وضعت نفسي في مأزق لا أعرف كيف الخلاص منه. فكأنما قد ولدت لي ابنة كبيرة على حين غرة، وأنا لا أدرى ماذا أقول لها عن حقيقة أمرى؟ أنني قد احتملها وأعيش حياتها لمكيدة معينة، ولكنني قد أموت من فرط السأم والضجر.

ثم كيف يكون الأمر لو أن صديقتي الحميمة لورين تترك عشيقها مندوب شركة الإعلانات لتستأنف الحياة معي، فماذا أفعل بنورما هذه؟ ما الذي جعلني أتمادى في علاقتي بها إلى هذا الحد بحق السماء؟»

والتفتت إلى نورما وقالت لها بصوت حاد:

-اسمعي يا حبيبتي، أنني لم أعدك وعدًا قاطعًا بالسكنى معًا. و إنما قلت لك سوف نرى كيف تسير الأمور. وأن هناك الشيء الكثير الذي لا تعرفينه عني. فأنا مثلا مخطوبة للزواج، وربما يصر خطيب على التعجيل به، فإذا أصر على هذا فإنني عندئذٍ لا أستطيع أن أقيم معك في مسكن واحد.

ورأت كاميليا أشباح اليأس تتزاحم في عيني نورما، ومع هذه الأشباح رأت الفزع الرهيب، ولمحت عضلات خديها وهي تتخاذل، وجوانب فمها تتراخى، وجسمها كله يوشك أن ينهار.

وقالت كاميليا لنفسها «يمكنني أن أجد غرفة في المدينة التالية اختبئ فيها منها حتى تيأس من العثور علي. آه، يا إلهي. كيف أوقعت نفسي في مأزق كهذا. ولكنني الآن متعبة جدًا، وأريد حمامًا ساخنًا».

وزمّت نورما شفتيها بقوة وأغمضت عينيها قليلا، وأحست بزفيف محرك السيارة كأنه دوى طبول غامضة في رأسها. ولكنها لم تلبث أن تمالكت نفسها، ثم قالت لكاميليا في لهجة اعتذار:

- لعلك تشعرين بالخجل من مصاحبتي لك، وأنا لا ألومك على هذا، لأني لا أصلح للخدمة في المطاعم والمشارب، ولكنني أستطيع أن أتعلم فن التمريض إذا رأيت أن أتعلم ولسوف استذكر دروسي ليلا وأنا أعمل بالخدمة في أحد المطاعم نهاراً. وتأكدي أني سأنجح في هذا، وأنك لن تشعري بالخجل مني بعد ذلك. وأعتقد أنك لن تتعبي كثيرًا في مساعدتي.

وشعرت كاميليا بنوبة غثيان في معدتها، وإذا هي تقول لنفسها في يأس:

«يا إلهي الكبير، لقد أوقعت نفسي في مأزق لا نجاة منه. فماذا أقول لها؟ هل أكذب عليها مرة أخرى؟ أم الأفضل أن أصارح هذه الفتاة البريئة بحقيقة أمري، فأقول لها أنني التقط رزقي بمصاحبة الرجال، وبالوقوف عارية تماما في بعض الاستعراضات المسرحية الخاصة؟ أنني لو صارحتها بهذا فربما أصدمها وأصدم مبادئها في الفضيلة فترفض أن تكون صديقة لي.

ولعل أن يكون هذا هو الحل الوحيد. ولكن لا، أن الحل الوحيد هو أن أهرب منها في زحمة الطريق».

وكانت نورما تقول عندئذ:

- إنني أتمنى أن تكون لى مهنة لها احترامها مثل مهنتك.

وقالت كاميليا في بأس:

- اسمعي يا حبيبتي، أنني متعبة جدًا بحيث أعجز عن التفكير السليم. لقد ظللت بضعة أيام وأنا في حالة سفر. ولهذا أرجو أن تفكر في الأمر بعد أن تستريح، ثم تنظر كيف تسير الأمور.

فقالت نورما:

- إنني آسفة، فقد نسيت هذه الحقيقة من فرط انفعالى. ولن أتحدث معك في هذا الموضع حتى نرى كيف تسير الأمور.

- نعم، هذا أحسن.

وتوقفت السيارة فجأة، ونهض جون من مقعده ليتأمل حفرة في الطريق مملوءة بالماء لا يعرف مدى عمقها، أنها قد تبلغ من العمق بحيث تختفي السيارة فيها تماماً. ونظر بسرعة إلى تمثال العذراء ثم همس لها: «هل أغامر بالمرور فوق هذه الحفرة؟» وكانت العجلات الأمامية عند حافة الحفرة، ومن ثم تراجع بالسيارة قليلا، ثمّ أطلق لها العنان، فاندفعت السيارة في الحفرة، ثم خرجت منها سالمة.

ولما أشرق وجهه بالانتصار، قال له العجوز برانت:

- مهلًا، انتظر حتى تبلغ السيارة الطريق الصاعد إلى الهضبة فلوي جون شفتيه وقال:

- إن من يسمعك يعتقد أنك تتمنى أن تعطل السيارة في الطريق لأيّ سبب.

ووصلت السيارة إلى مكان سوى في الطريق بأعلى التل. وخفت حدة

المطر بعض الشيء. ونظر جون إلى تمثال العذراء المعلق فوق رأسه وقال باسماً «لسوف أبرُّ بوعدي واحتاز بالركاب هذا الطريق الوعر إذا كان ذلك ممكناً، أما إذا..».

ونظر جون إلى صخور التلال المرتفعة على يمينه. و إلى بعض الكهوف المحفورة في جوانبها بواسطة العوامل الطبيعية أو البشرية ثم أحس بالرعدة تسري في كيانه وقد خيل إليه أن هذه الكهوف ليست إلا عيونًا سوداء تنفذ إلى أعماق نفسه وتستشف حقيقة مشاعره.

وانطلقت السيارة بأمان على الطريق الموحل المكسو بالحصباء، ولولا هذه الحصباء لما سهل على السيارة الانطلاق بهذه السرعة، وفجأة رأى جون أمامه منخفضًا في الطريق ملئ بالماء والأوحال، ولكنه لم يتوقف. لأن التوقُّف لا جدوى منه. و إنما زاد من السرعة، واندفع بالسيارة، وكاد يجتاز المنخفض بسلام، وبلغت العجلات الأمامية حافَّته البعيدة.

ولكن العجلات الخلفية غاصت في الأوحال وضغط جون على صمام البنزين ليزيد من سرعة السيارة. ولكن العجلات كانت تزداد غوصًا في الحفرتين اللتين صنعتهما في أوحال المنخفض. كلما حاول جون أن يزيد من سرعة دورانها.

وأخيرًا استقرب السيارة على عمود المحاور «الدفرنسيال» فوق حافة المنخفض الأمامية. وتعطلت تماماً عن الحركة.

وأوقف جون المحرك وهبط منها، ولكنه اختلس النظر إلى بمبلز فرآه يحملق فيه مدهوشاً، فأدرك أن الفتى عرف ما كان ينبغي أن يفعل جون في مثل الحالة، عرف أن من البديهيات ألا يريد الإنسان من سرعة دوران العجلات في مثل هذه الظروف، لأن السرعة تزيد من غوصها في الأوحال..

والواقع أن جون، وهو مستغرق في عمله، كان قد نسي وجود بمبلز بالقرب منه، ولكن حسنا، أنه لن يصدق بطبيعة الحال أنه تعمد تعطيل السيارة في هذه البقعة النائية، وحتى لو خطر بباله شيء كهذا، فما هو الدليل؟

وأسرع فان برانت إلى جون وهو يكاد يختنق من الغضب وقال له بصوت كالفحيح وقد أخذ يلوح بقبضة يده في وجهه:

- إذن فقد فعلتها وأوقعت بنا هنا؟ أنا كنت أعرف أنك ستفعل هذا بحق السماء. والآن كيف سأحضر إلى المحكمة غدا؟ كيف ستخرجنا من هذا المأزق؟

فأبعد جون يد العجوز عن وجهه، وقال له آمرًا:

- كفى صياحًا. وعد إلى مقعدك. و إلا فلن تزداد الأمور إلا سوءًا.

وبعد أن دار جون حول السيارة، عاد إلى الركاب وقال لهم:

- إنني أسف أيها السادة. وأرى أن عليكم الانتظار هنا بعض الوقت. وأرجو أن تتذكروا بأنكم أنتم الذين اخترتم هذا الطريق.

فقال فان برانت؟

- إنني لم أوافقهم على اختيار هذا الطريق.

فصاح به جون بصوت راعد:

- إنني لا أريد أن أسمع منك كلمة أخرى وإلا فقدت عقلي، لأني على وشك أن أفقده فعلاً.

وأدرك العجوز أن جون كان جادًا في هذه المرة، لاسيما حين رآه يقبض راحتيه بعنف وقد برزت عضلات ساعديه بوضوح.

وعاد جون يقول بصوت حاول أن يجعله هادئاً:

-أن على الآن أن أمضي إلى أقرب تليفون لاستدعاء سيارة نجدة، وسوف أطلب أيضا إرسال سيارة مأجورة تحملكم إلى سان جوان دى لاكروز. ولن يستغرق هذا كله أكثر من ساعتين أو ثلاث.

وهنا قال فان برانت بصوت هادئ:

- إن أقرب مكان مأهول يقع على مسافة أربعة أميال، ويوجد على مسافة ميل واحد بيت آل هوكنز، وهو بيت قديم مهجو منذ أن استولى بنك أمريكا عليه، وعلى المزرعة. ومن ثم عليك أن تمضي إلى الطريق الزراعي العام، وأقرب منطقة منه تبعد عن هنا أربعة أميال.

فهز جون كتفيه، وقال:

- إذا لم يكن مندوحة من الذهاب، فيجب أن أذهب.

ثم أردف قائلاً، وهو ينظر إلى السماء:

- وها هي ذي الأمطار قد أوشكت أن تنقطع تماماً

فقال بمبلز وقد أخذته نوبة من المودة والإخلاص:

- دعني أذهب بدلا عنك يا مستر شيكو فضحك جون وقال:

- لا يا كيت، أن هذا يوم إجازتك. ويجب أن تستمتع بها.

ثم أردف قائلًا للركاب:

- إن في مخزن السيارة صندوقًا به مجموعة من الفطائر، ويمكنكم إذا شعرتم بالجوع أن تأكلوا منها كما تشاءون. وكذلك توجد زجاجة ويسكي ومسدس في الخزانة الأمامية. وقد ينفع المسدس إذا هاجمكم نمر أو شيء من هذا القبيل.

وقالت كاميليا:

فقال جون وهو يسلم المفاتيح لبمبلز:

- احضر لها بعض الفطائر، ولكن ترفق بنفسك يا ولدى فلا تآكل الكمية كلها. أما أنتم ايها السادة فيمكنكم أن تبقوا في السيارة أو تهبطوا منها وتستريحوا في بعض الكهوف هنا. بل يمكنكم أن توقدوا نارًا إن وجدتم بعض الخشب الجاف.

واستدار جون وسار بضع خطوات. ثم عاد والتفت ولوح بيده للركاب، ثم استأنف السير وراح يهبط من التل يمينا حتى وصل إلى حافة النهر الملتوي، ثم سار عبر مزرعة قديمة مهجورة كانت رائحة النباتات الجافة والمتعطنة تشيع في جوها.

ورأى من بعيد بيت آل هوكنز الخالي المهجور، فأسرع نحوه بخطوات واسعة، وهناك وجد البيت متداعيًا، فحطم الأبواب والنوافذ ممزق الأوراق التي تكسو الجدران. ملئ بأكداس من الغبار والأتربة وبعد أن جاس في غرفاته قليلا مضى إلى المخزن القريب منه، أنه مخزن الحاصلات الزراعية، وكان أيضًا خاليًا إلا من كومة من التبن في نهايته.

وفيما كان جون يتقدم نحو هذه الكومة، والجرذان تفر أمامه مذعورة في كل مكان، إذا به يشعر فجأة بالتعب يتسلل إلى كل جسده، وإذا هو يرقد على كومة التبن ثم يقول لنفسه:

- إنني لم أعد شابًا كما كنت!

وتراخت عضلاته المتوترة، وأغمض عينيه، وبدأت أنفاسه تنتظم وأطلت الجرذان من جحورها وقد أدركت من أنفاسه المنتظمة أنه نام!

□□□

الفصل الثاني عشر

لحظات غرام

أخـذ الركاب يتيعون جـون بنظراتهم حتى اختفى تمامـا، وعندئذ قال السيد بريكارد:

- ترى كم سيـــستغرق من الوقت حتى يأتي لنا بسيارة أخرى؟ ففرك فان برانت يديه وهو يعتدل في جلسته وقال:

- لا أقل من ثلاث ساعات.

وقالت السيدة بريكارد لزوجها في لهجة عتاب:

- كل هذا بسبب اصرارك على السفر بواسطة هذه السيارات المجفاء. لقـد كان ينبغـي أن نركب القطـار الفاخر من شـيكاغو إلى لوس أنجلوس رأسًا.

ثـمّ أردفت قائلـة وكأنمـا أرادت أن توضح للجميع الـسر في سـفرها مع زوجها عن هذا الطريق:

- ولكنـك أردت أن تتخـذ هـا الطريق لـكي تتفرج على أكـبر عدد من الأماكن والأشخاص كما تقول. فهل شبعت الآن، فرجة؟

- لا داعي لهذا العتاب الآن يا فتاتي الصغيرة!

فردت قائلة في غضب مفاجئ أدهش ابنتها ميلدرد:

- هكـذا أنت دائمـا.. لا تطيق أن يعاتبك أحد عـلى أخطائك. أنك أنت الذي دبرت أمر هذه الرحلة التي سوف تكلفك أكثر من خمسة آلاف دولار

بينما تعرف أني أكاد أموت شوقا إلى بيت نبات زجاجي في الحديقة لإنبات زهور الأوركيد.

- وهكذا أنت دائماً، لا تفكرين إلا في رغباتك ونزواتك، أنك تفضلين بيت نبات زجاجي على أن استمتع بأول أجازة طويلة أنالها منذ سنوات و..

وهنا تدخلت ميلدرد بين أبويها وهي تكاد تتفجر من فرط الشعور بالعار:

- كفى يا أبي، وأنت يا أماه، هذا لا يليق أمام الغرباء.. فهتف بها والدها قائلاً:

- لا تتدخلي فيما لا يعنيك يا ميلدرد، ولعلك لا تعرفين أنني لم أفكر في هذه الرحلة إلا إكراما لك، أما أنا، فقد كنت أفضل أن استمتع بإجازتي في الراحة ولعب الجولف.

ونهضت ميلدرد واقفة وقالت لأمها بعنف حين رأتها تهم بالحديث في غضب:

- أماه، كفى شجارًا. ماذا دهاك أنت وأبي؟ أن هذه أول مرة اسمعكما تتشاجران فيها خارج غرفة النوم. إذا لم تكفا عن هذا فسوف أغادر السيارة لأقوم بجولة في المنطقة.

فقال لها أمها:

- اذهبي. اذهبي كما تريدين، أنك لا تفهمين شيئًا.

فتناولت ميلدرد معطفها الواقي من المطر وارتدته وقالت:

- إنني ذاهبة إلى الطريق العام.

فقال فان برانت:

- أنه يبعد أربعة أميال عن هذا المكان.

وتناولت السيدة بريكارد منديلها المعطر ووضعته على أنفها وفمها بينما قالت ميلدرد لها:

- تمالكي أعصابك يا أماه، أنني أعرف ماذا ستفعلين بعد قليل سوف تشكين من ذلك الصداع الرهيب وتعاقبيننا جميعا بآلامك وأوجاعك.. صداعك هذا المزعوم!

وكان بمبلز ينظر مدهوشًا إلى ما يجرى أمامه، أما السيدة بريكارد فقد قالت في استنكار وهى تحملق بفزع إلى ابنتها:

- ويحي! أتعتقدين أنني أدعى الإصابة بذلك الصداع؟

- لقد بدأت أعتقد هذا، لأن نوبات هذا الصداع لا تأتى، كما لاحظت، إلا في الأوقات المناسبة.. المناسبة لك!.

فصاح السيد بريكارد قائلًا:

- ميلدرد، كفى هذا.

- إنني ذاهبة.

- وأنا أمنعك؟!

-لا، أنني قد بلغت سن الرشد ولا يستطيع أحد أن يتحكم في تصرفاتي.

ثم هبطت من السيارة، وسارت بخطوات سريعة إلى منحدر التل، ولم تلبث أن اختفت.

وصاحت السيدة بريكارد قائلة في جزع:

- اليوت، أسرع وراءها. لا تدعها تمضي بمفردها، ربما.. فربت السيد بريكارد يد زوجته وقال مترفعاً:

- لا تخافي، أن ميلدرد تعرف كيف تتصرف كما ينبغي، ويبدو أن أعصابنا جميعا متوترة إلى حد كبير..

فتأوهت السيدة بريكارد وقالت:

- أوه، اليوت، لو أني فقط أستطيع أن ارقد قليلا. أنها تعتقد أنني أزعم الإصابة بالصداع، أنني على استعداد لأن اقتل نفسي إلّا كان صداعة مزيفا، أوه اليوت، ألا من مكان أستطيع أن أرقد فيه قليلاً.

وهنا قال بمبلز:

- إن لدينا في مخزن السيارة مجموعة من المشمعات الكبيرة التي نستخدمها أحيانا في تغطية البضائع فوق سقف السيارة. ومن الممكن أن تأخذي واحدًا منها وتفرشيه في احد الكهوف وترقدين عليه في أمان.

فقال السيد بريكارد:

- هذه فكرة مدهشة.

فقالت السيدة بريكارد بلهجة احتجاج:

- أتريدني أن أرقد على أرض رطبة قديمة؟ لا. لا أستطيع.

فقال زوجها:

لا يا فتاتي الصغيرة الحبيبة، ولسوف ترقدين على المشمع، وسوف أعد لك سريرًا لطيفًا صغيراً، يناسب صغيرتي اللطيفة، أتعرفين ماذا سأفعل؟

فلما رفعت عينيها إليه متسائلة، أردف قائلًا:

- سأطوي معطفك الفراء وأجعله كالوسادة تحت رأسك. ثم أغطيك بمعطفي الكبير الواقي من المطر.. انتظري لحظة حتى أعد لك هذا الفراش.

وقال بمبلز:

- لقد طلب السيد سيكو أن أخرج صندوق الفطائر. أنها فطائر طازجة وشهية جداً، وفي مقدور كل منكم أنه يأكل ما يشاء منها، وأنا شخصيًا لا أجد مانعًا الآن في أكل فطيرة كاملة.

فقال له السيد بريكارد:

- لا بأس، ولكن هلم نخرج المشمع الآن.

وتعاون الاثنان على حمل صندوق الفطائر من مخزن السيارة الخلفي، وعلى إخراج مشمع كبير. وفي خلال هذا قال ارنست هورتون:

- لسوف أمضي وأفحص هذه الكهوف.

وهبط من السيارة وتبعه فان برانت، وكانت السيدة بريكارد معتمدة برأسها على مسند المقعد، وقد أغمضت عينيها وراحت تفكر - باستنكار شديد - في هذا الخلاف الذي نشب بينها وبين زوجها أمام الغرباء.

ولكنها مع هذا أحست بشيء من الراحة، لأنها استطاعت أخيرًا أن تصارح زوجها برغبتها في إنشاء بيت نبات زجاجي. كالذي إنشأته صديقتها ايلين. حيث تستطيع إنبات زهور الأوركيد النادرة. التي راحت تتعلم طريقة إنباتها سرًا.

ولكن الذي يقلقها الآن هو أنها تركت هذه الرغبة تفلت من لسانها في لحظة غضب، وربما يؤدى هذا إلى أن يتأخر تحقيق أملها ستة أشهر.

وكانت تسمع وراءها نورما وكاميليا تتبادلان الحديث بصوت خافت وهما تحسبانها نائمة. وكانت نورما تقول لكاميليا:

- إن ما يدهشني منك يا عزيزتي كاميليا هو قدرتك على وقف كل شخص يضايقك عند حده!

- ماذا تعنين؟

- أعني بمبلز مثلًا، لقد رأيت كيف أوقفته عند حده بمجرد أن بدأ يضايقك، والعجيب في الأمر أنك تفعلين هذا ببساطة لا تجرح كبرياء أحد.

ثم هناك صاحبنا الآخر، مندوب الشركة، أنك تعاملينه ببراعة وكأنه طفل صغير. إنني أتمنى لو أعرف كيف تفعلين هذا.

وشعرت كاميليا بالسرور، وأدركت أنه من الممتع أن يكون الإنسان موضع إعجاب الغير، حتى لو كان هذا الغير حجر عثرة في الطريق. وتساءلت في نفسها: ترى هل أخبرها الآن أنني لست ممرضة، وإنما أنا فتاة استعرض جمال جسمي في حفلات خاصة أمام جمهور من عجائز الرجال! لا، لا، إنني لا أريد أن أصدم هذه الفتاة الغريرة وافقد إعجابها الشديد بي.

وعادت نورما تقول:

- ومما يضاعف إعجابي بك أنك لا تثورين ولا تسبين أو تسخطين، ومع ذلك لا يجرؤ أحد أن يلمسك بأصبعه.

فضحكت كاميليا وقالت:

- إنني لم ألاحظ هذا كله عن نفسي، ولعله أن يكون جزءا من طبيعتي.

إلا أنني أعرف صديقة هي أقدر مني في معاملة الرجال.. أنها تستطيع أن تطفر من أي رجل بأي شيءٍ يعجبها.. ولكنه، في النهاية تدفع الثمن!

- ثمن! أي ثمن؟

- ثمن ما تحصل عليه يا عزيزتي. فليس في هذا الوجود شيء يعطى بلا مقابل، ولكن صديقتي هذه يحلو لها أن تتدلل على صاحبها وتغريه وتثيره حتى يبلغ حد الانفجار ثم إذا هي تستسلم له بوداعة وأحست السيدة بريكارد في تلك اللحظة، لأول مرة في حياتها، بدبيب الرغبات الجنسية يسرى في عروقها، فزادت من أغماض عينيها وقالت لنفسها:

«يا لهما من فتاتين سوفيتين! لا شك أنهما من فصيلة الحيوانات البهيمة، ترى أهؤلاء هم الأشخاص الذين أراد اليوت أن يتعرف بهم أثناء الرحلة».

وفجأة أخذت تكتب في ذهنها الخطاب الثالث إلى صديقتها ايلين تصف لها ما حدث: وأنها سمعت حديثًا من فتاتين سوفيتين لا ينبغي ذكره في هذا الخطاب.

سارت ميلدرد بخطوات سريعة في نفس الطريق الذي سار فيه جون، ولكنها لم تكن تدرك هذه الحقيقة في أول المر، إذ كانت مشغولة بأفكارها التي كانت تتزاحم في رأسها في تلك اللحظة.

لقد شعرت مرة أخرى بهذا السأم العميق الذي طالما أثقل عليها بسبب هذه الحياة الرتيبة مع والديها.. لشد ما تهفو إلى لون آخر من الحياة.

إنها تريد أن تتزوج. وأن ترضى بالزواج هذه العاطفة الحادة المشبوبة التي طالما ألهبت دماءها والتى كثيرًا ما جعلتها تشعر بالنفور من نفسها.

ولكنها حتى الآن لم تجد الزوج المناسب الذي يرضيها. ثم ها هي ذي الرحلة إلى المكسيك؟ وماذا بعدها؟ ماذا لو أنها الآن سارت حتى وصلت

إلى الطريق العام، ومنه تستقل سيارة إلى إحدى المدن الصغيرة حيث تختفي فترة من الوقت. أنَّ أحدًا لن يستطيع أن يرغمها على العودة. حتى والديها لأنها تجاوزت الواحدة والعشرين من عمرها: وقد أصبح لها، من الوجهة القانونية، حرية التصرف بنفسها في حدود القوانين والتقاليد والعرف.

أنها لا تنكر أن أباها كان كريما معها على طريقته. ولكن أباها قد نسى أن في مقدورها مثلا أن تكتسب رزقها بالعمل، وأن في مقدورها أيضًا أن تواصل دراستها الجامعية حتى تتخرج. ثم.. ثم ماذا بعد ذلك؟

وتناولت نظارتها، ومسحت قطرات ماء المطر عنها بمنديلها. ثم أعادتها وراحت تنظر إلى الأرض الموحلة حتى تتجنب الخوض في إحدى الحفر المتناثرة حولها، وعندئذ لمحت آثار أقدام أمامها، ولم تلبث أن أدركت، من طبيعتها، أنها أقدام جون، سائق السيارة. وهنا تحولت كل أفكارها إليه, هي تحرص على المسير وراء هذه الآثار.

ورفعت عينيها إلى الأفق، ولمحت البيت المهجور على مسافة قريبة، ورأت آثار الأقدام تتجه إليه، فمضت نحوه وقد رفت على شفتيها ابتسامة غامضة.

وعندما اقتربت من البيت، أدركت من اتجاه أن جون سيكو لم يخرج من منطقة البيت المهجور، ومن ثم تساءلت في نفسها: ماذا يفعل هنا وكان المفروض أنه ماض إلى الطريق العام لاستدعاء سيارة نجدة وإرسال سيارة مأجورة لنقل الجميل إلى سان جوان دي لاكروز!

ومضت ميلدرد تجوس خلال غرفات البيت المهجور، حتى إذا أيقنت أن جون ليس في أية حجرة به، خطر ببالها الذهاب إلى مخزن المحصولات، فلما سارت في اتجاهه، لاحظت آثار أقدام جون مطبوعة على الطين في نفس

الاتجاه، ومضت إلى باب المخزن المفتوح وهي تحس بالدماء تجري في عروقها ملتهبة، ثم وقفت عند الباب وراحت ترهف السمع، وخطر لها، عندما لم تسمع صوتا، أن تنادي عليه، ولكنها آثرت أن تفاجئه، فسارت ببطء حتى وصلت إلى كومة التبن في نهاية المخزن. وكانت الجرذان التي ألفت وجود جون، قد أخذت مرة أخرى تفر مذعورة إلى جحورها أمام هذا الوافد الجديد. ورأت جون راقدًا على ظهره وقد عقد يديه تحت رأسه، وأغمض عينيه، وبدا من رتابة أنفاسه أنه مستغرق في النوم.

وقالت لنفسها:

- يمكنني أن أعود أدراجي إلى السيارة الآن، فليس هنا من يبقيني رغما عني، و إذا بقيت فسوف أكون أنا المسئولة عما يحدث، وينبغي أن أتذكر هذا جيداً. أنه الآن إنسان في حاله! ولكن، ما هذا اللغو الفارغ؟!

ورفعت النظارة عن عينيها ووضعتها في جيبها، إذ كان في مقدورها أن ترى جون بوضوح على هذه المسافة القصيرة، وتقدمت ببطء وحذر نحو كومة التبن، ثم ثنت ساقيها تحتها وجلست تحملق النظر، وتتأمل وجهه الأسر القوى، وصدره العريض الذي كانت عضلاته تبدو بوضوح تحت السترة المبللة الملتصقة به، ثم قالت لنفسها:

- يبدو أنه شعر بالتعب، فرقد هنا ليستريح برهة، ومن ثم لا ينبغي أن أوقظه.

- وكرت بذهنها إلى ركاب السيارة - ماذا لو أنها لم تعد مع جون إليهم؟ ماذا سيفعلون عندئذ؟ أن أمها ستقع مغشيا عليها، و إن أباها سيبرق إلى حكام الولايات في هذه المنطقة. وربما لجأ إلى إدارة المباحث العامة. ولا شك أن الدنيا ستقوم وتقعد بسبب اختفائها مع سائق سيارة عامة، ولكن ماذا وسعهم

جميعًا أن يفعلوا؟ أنهم حين يعثرون من عمري، ومن حقي أن أتصرف بحياتي كما أشاء، ثم كيف يكون الحال لو أنها صحبته إلى المكسيك؟.. إن الرحلة عندئذ ستكون خالية تماما من كل أسباب الضيق والسأم!

وعادت ميلدرد تطوف بنظراتها على جسم جون كله، حتى إذا وقعت عيناها على وجهه. فوجئت به ينظر إليها بهدوء. وقد بدت عيناه متألقتين، لا أثر للنوم فيهما. أي أنه على الأرجح لم يكن نائمًا منذ دخلت المخزن!

ووجدت نفسها تقول وكأنما تشرح له موقفها:

- كنت في حاجة إلى أن أتمشى قليلا بعد طول الجلوس في السيارة. وقد خطر لي في أول الأمر أن أمضي إلى الطريق الزراعي العام لالتقى بإحدى السيارات الخاصة أو العامة، ولكنني حين لمحت هذا البيت القديم المهجور، عرجت عليه بدافع من الفضول. وأنا بطبيعتي أحب الأماكن القديمة.

ولم يجب جون عليها بشيء، وإنما ظل يجيل نظراته على وجهها، ثم راح ببطء شديد يستدير قليلا لترقد على جانبه في مواجهتها وقد اعتمد برأسه على يده.

ورأت بريقًا خاطفا يومض في عينيه، وأحست أنه ليس ثمة مهرب من نطاق نظراته الأسرة التي ذكرتها بما قرأت عن نظرة الأفعى للطائر الصغير.

وفجأة سألته قائلة:

- ماذا تفعل هنا؟

فانفرجت شفتاه قليلا ثم سألها بدوره:

- وأنت، ماذا تفعلين هنا؟

- لقد قلت لك السبب. كنت في حاجة إلى رياضة المشي. ألم أقل هذا؟

- أجل، قلت.

- والآن، ماذا تفعل أنت هنا؟

فهز كتفيه وقال في غير مبالاة:

- أنا؟ أوه، لقد جلست لأستريح، ويبدو أن النوم غلبني على أمري، لأنني لم أنم أمس كما ينبغي.

ورأت أن عليها أن تستمر في الحديث إذا أرادت أن نجعل الموقف بينهما طبيعيًا:

- نعم، أذكر، ولكنني مندهشة منك! لأني أرى أنك لست بالرجل الذي يكتفي بقضاء حياته في هذه المنطقة المنعزلة، والذي تمر أيامه متشابهة في قيادة سيارة عامة ذهبًا و إياباً، بلا انقطاع، أن مكانك الحقيقي يجب أن يكون في مجال آخر.

فقال باسمًا ليجاريها:

- مثل ماذا؟

فقالت في شيء من الاضطراب:

- أتعرف أن فكرة طريفة طرأت على ذهني وأنا أسير إلى هنا؟ لقد ظننت أنك تركت السيارة وانطلقت إلى حياة أخرى جدية، في بلاد أخرى مثل المكسيك.

فرمقها بنظرة طويلة حادة وقال:

- هل فقد الصواب؟ ما الذي جعلك تفكرين في شيء كهذا؟

- هذا ما خطر لي فقط حين شعرت أن حياتك هنا لابد وأن تكون مليئة بالضجر والركود بعد أن عشت جزءًا منها في بلاد المكسيك.

- هل عشت في المكسيك من قل؟

- لا.

- إذن فأنت لا تعرفين مدى ما في الحياة هناك من سأم وركود.

- أحقًّا؟!

ورفع رأسه قليلًا ثم قال:

- ما رأيك فيما قد يحدث للذين تركناهم في السيارة؟

-أوه. أنهم سيدبرون أمورهم بطريقة ما. والطريق الزراعي العام ليس بعيدًا عنهم. وهم على الأقل لن يموتوا جوعا.

- وما رأيك فيما قد يحدث للذين تركناهم في السيارة؟

- فقالت في ارتباك:

- أوه، لقد فاتني التفكير في أمرها.

- لا بل فكرت في أمرها، أنك لا تحبينها، وسأقول بصراحة، أنه لا يوجد من يحبها غيري.

ثم ابتسم وقال:

- ومن الأسباب التي تجعلني أحبه أنه لا يوجد أحد يحبها أبدًا ثم قال لنفسه «يا لك من كذاب كبير!».

وقالت ميلدرد:

- لقد كانت مجرد خاطرة حمقاء! بل لقد فكرت أيضا في أن أهرب

أنا أيضا من حياتي. فكرت في الاختفاء والحياة بمفردي وعدم رؤية أي شخص من الذين سبق أن عرفتهم.

ثم نهضت قليلًا وظلت معتمدة بجسمها على ركبتيها حتى جلست على الجانب الآخر، ونظر جون إلى ركبتيها العارية، ثم مد يده وجذب طرف الثوب عليها. وجفلت هي عندما رأت يده تمتد، ثم لم تلبث أن هدأت وتراخت أعصابها.

وقالت له:

- إنني لا أريد منك أن تظن أنني تبعتك إلى هنا.

- إنك لا تريدين أن أظن هذا، ولكنك في قرارة نفسك ترتدين.

- حسنًا! وماذا لو أني أريد؟

فمد يده مرة أخرى وأراحها على ركبتها، وجعل الدماء الحارة تشتعل في وجهها، ثم إذا هي تقول وقد جفّ ريقها:

لا تظن أن الأمر يهمك أنت، و إنما يهمني أنا، بل أنني لا أحبك، فان لك رائحة كرائحة الخراف!

وتهدج صوتها قليلًا وهى تستطرد قائلة:

- إنك لا تعرف نوع الحياة التي أحياها! أنني أعيش في عزلة، أنني لا أستطيع أن أقول لأحد، أيا كان، أي شيء.

وأردفت قائلة وهى تشعر أنها غارقة في محيط نظراته المتوهجة:

- وأنا ربما لا أكون كغيري من الناس. فمن أين لي أن أعلم ولكن لست أنت الذي أريد، بل أنني لا أشعر بأيّ حب لك. فقال جون بهدوء:

- اسمعي، أنك تعذبين نفسك كثيرًا بهذا الجدل الأجوف.. أليس كذلك؟

فسألته قائلة على حين غرة:

- ماذا تنوى أن تفعل لأولئك الذين تركناهم في السيارة، ألن تستدعى لهم سيارة إنقاذ؟

فضغط على ركبتها بيده برهة، ثم رفعها وقال:

- لسوف أعود إلى السيارة وأخرجها من الحفرة.

- إذن لماذا جئت إلى هذه المكان؟

- هذه مشيئة القدر، فلو لم يكن هذا المخزن قائمًا هنا، لكنت الآن في طريقي إلى مدينة سان ديبجو على الحدود.

- ومتى ستعود السيارة؟

- في أقرب وقت.

ونظرت إلى يده المعتمد بها على أرضية المخزن، ثم قالت له:

- ألن تنوى أن تراودني عن نفسي؟

فاتسعت الابتسامة على شفتيه. وازداد البريق توهجا في عينيه، ثم قال:

- نعم، أظن هذا، ولكن بعد أن تفرغي من هذا الجدل الأجوف الذي تديرينه مع نفسك. وأنت الآن في مفترق الطرق. ويمكنك أن تقرري أي طريق تختارين، وسوف أكون تحت أمرك في الطريق الذي يقع عليه اختيارك.

- ألا.. ألا تشتهيني؟

- إنني اشتهيك بكل تأكيد.

- إذن فأنت لا تريد أن تتعب نفسك في مراودتي عن نفسي لأنك واثق بأني سأقع بين ذراعيك في النهاية بلا أي مجهود!

- أوه. أرجو ألا تحشريني في جدلك مع نفسك، أنني أكبر منك سنًّا، وأنا أشتهيك تمامًا وأتمنى أن تكوني بين ذراعي حالا، ولكنني تعودت بطبعي على الصبر. ولاسيما في هذه الأمور، لأنه كلما طال الصبر عليها ازدادت حلاوة.

فلوت شفتيها وقالت:

- كان يجب أن أكرهك جد، لأنك تحرمني من كل كبرياء، أنك لا تتيح لي الفرصة لكي أشعر بأني قاومتك، ولو قليلاً، على الأقل.

- لقد ظننت أني أحترم كبرياءك عندما تركت لك حرية الاختيار.

- هذا تفكير عقيم.

- عجبًا! أن النساء في بلادي هكذا أيضًا، لا يستسلمن إلا بعد الرجاء أو المقاومة.

- وهل أنت هكذا دائمًا مع جميع النساء؟

فهز كتفيه وقال:

- لا. وإنما معك الآن فقط، لقد قلت أنك جئت إلى هنا لشيء آخر وأنك لا تحبينني ولا تريدينني.

فنظرت إلى أصابع يديها وقالت في اندهاش:

- ما أعجب هذا؟ أنني فتاة من اللاتي يقال عنهن مثقفات، عصريات، مطالبات بالمساواة مع الرجال. وقد قرأت كثيراً، وأنا لست عذراء، كمعظم

الفتيات في هذه البلاد، ومع ذلك فلا أستطيع أنم أكون البادئة في الغزل معك.

ثم ابتسمت وقالت بسرعة:

- ألا تستطيع أن تجعلني أقاوم ولو قليلاً؟

فمد ذراعيه، وألقت بنفسها بينهما وهي تقول:

- هل ستحتقرني فيما بعد أم ستسخر مني؟

فهز كتفيه وقال:

- وماذا يهمك؟!

فتمتمت قائلة:

- إن هذا الأمر يهمني جدًا، لأني لا أحب أن أكون موضع سخرية أو احتقار من أسلمه نفسه بهذه السهولة.

- أوه.. أنك تتحدثين أكثر مما ينبغي.

- هل.. هل سنهرب معا.. ربما إلى المكسيك؟

- لا. والآن، دعيني أذق طعم شفتيك.

□□□

الفصل الثالث عشر

الثوب الممزَّق

بعد أن خرج بمبلز والسيد بريكارد صندوق الفطائر وأحد المشمعات من المخزن، أراد الشاب أن يبدأ أولًا عملية الأكل، ولكن بريكارد قال له:

- يجب أولا أن أعد المكان المناسب لكي تستريح زوجتي وحملا معًا المشمع إلى أحد الكهوف. وبعد أن اطمأن إلى نظافة المكان، رأى فان برانت وأرنست هورتون يدخلانه، فقال لهما معتذرًا:

- لسوف ترقد هنا زوجتي لتستريح، وأعتقد أن الكهفين الآخرين لا يقلان عن هذا استطاعا ونظافة.

فابتسم ارنست وقال:

- إن الإنسان يستطيع أن يعيش هنا أسابيع إذا وجد ما يأكل.

فقال فان برانت:

- عش أنت هنا ما تشاء، أما أنا، فسوف أسير إلى الطريق العام في الصباح الباكر إذا لم يعد ذلك السائق اللعين في الوقت المناسب. إن لدى أعمالا هامة يجب أن أنجزها غدا.

وقال بمبلز:

- ما رأيكم أيها السادة في فطيرتين نقتسمهما فيما بيننا؟

فقال ارنست هورتون:

- هذه فكرة سليمة جدًا.

- أي نوع تحب؟

- فطيرة من النوع المحشو بالمربى إذا أمكن.

- حسنا جدًا.

وعاد السيد بريكارد إلى السيارة حيث وجد زوجته لا تزال مغمضة عينيها، فقال لها:

- لقد أعددت لك مرقدًا طيبًا أرجو أن تستريحي فيه.

ففتحت عينيها وتلفتت حولها في شيء من الدهشة، فقال لها:

- هل كنت نائمة! أنني آسف. ما كان ينبغي أن أزعجك.

- لا لا يا عزيزي، أنني بخير.

وساعدها على الهبوط من السيارة في رفق جعلها تقول معتذرة:

- إنني آسفة يا عزيزي على ما بدر مني!

- لا عليك يا فتاتي الصغيرة، لقد كنت فقط متعبة متوترة الأعصاب، وأنا أعرف أنك لم تكن تعنين كلمة واحدة مما قلت. وعندما سار معها نحو الكهف، قال:

- لسوف أقدم لك عشاء فاخرًا مع الشمبانيا في مطعم روما نوف الفاخر بهوليوود.

وراحت كلمات الرسالة الرابعة التي ستكتبها لصديقتها ايلين تتزاحم في ذهنها: «وفي هوليوود، دعاني إليوت إلى عشاء فاخر في مطعم رومانوف الذي يتردد عليه أشهر نجوم السينما.. فهل تعلمين من كانت على المائدة المجاورة، أنها الكوكب..

وفي داخل الكهف، تلفتت السيدة بريكارد حولها بعد أن اعتادت عيناها على الظلام، ثم قالت قبل أن ترقد على الفراش الذي أعده لها زوجها:

- هل أنت واثق بأنه لا توجد فيه أقاع أو عناكب؟!

- لا لا يا عزيزتي، لقد تأكدت من هذا، اطمئني، والآن ارقدي وسوف أضع عليك معطفي الكبير. ولما أطاعته، قال:

- والآن كيف حال فتاتي الصغيرة؟

- على خير ما يرام.

سأتركك الآن لتستريحي، ولن يزعجك أحد بالدخول لأني لمحت للآخرين بأن هناك كهوفًا أخرى يمكنهم الاستراحة فيها إذا شاءوا. وإذا أردت شيئًا فيمكنك أن تنادي علي. هل أتى لك بقطعة فطير؟

- لا، ليس الآن، وشكرًا.

وغادر السيد بريكارد الكهف حيث رأى أنرست هورتون جالسًا في الجانب الآخر من التل، الجانب المطل على الوادي، وكان مدخل الكهف الثالث فوق رأسه مباشرة، وفيما كان السيد بريكارد يقترب منه، تناول ارنست جانبا من الصحف التي كان يفترشها تحته، وأعدها لجلوس بريكارد بجانبه وهو يقول له باسمًا:

- إن هذه الصحف مفيدة جداً، يمكنك أن تفعل بها كل شيء إلا أن تقرأها.

وضحك السيد بريكارد، وجلس بجانب هورتون، وراح يتبادل معه الحديث الذي لم يستمر غير لحظات معدودة نهض بعدها هورتون لينصرف إلى مكان آخر، وهنا قال له بريكارد:

هورتون لينصرف على مكان آخر، وهنا قال له بريكارد:

- يبدو أنك متوتر الأعصاب يا مستر هورتون. فأرسل ارنست ضحكة جافة وقال:

- ومن منا هادئ الأعصاب؟ أننا جميعًا يا سيدي في حالة عصبية سيئة رغم محاولاتنا لكي نبدو هادئين طبيعيين في تصرفاتنا.

وراح بريكارد يشيع الشاب بنظراته وهو يقول لنفسه في أسف:

- يبدو أن الحرب تركت طابعها على أعصاب هذا الشاب الموهوب ثم وجد نفسه يفكر فجأة في الشقراء الفاتنة كاميليا: أنه موقن بأنه سبق أن رآها من قبل. ولكن أين؟ لو أنه فقط استطاع أن ينفرد بها لحظات، أذن لعرف أين ومتى رآها من قبل. وأكثر من هذا أنه واثق بأنه لم يرها فقط، بل يذكر أن رؤيته لهما قد أشعلت النار في دمائه، ولكن متى.. وأين؟

ونظر إلى السيارة المعطلة حيث لا يزال بها الفتاتان وبمبلز. وأخيرًا نهض، وسار نحوها تحت مطر كان يتساقط رذاذا خفيفًا جداً، وكانت السماء قد أوشكت أن تصفو تماما، وأشعة الشمس قد أخذت تتسلل من وراء ندف السحاب المتخلفة، وصعد إلى السيارة حيث رأى فان برانت راقدًا على المقعد الخلفي الممتد بعرض السيارة كلها، وكان يبدو عليه أنه مستغرق في النوم. وكان بمبلز والفتاتان يتحاذقون في خفوت حتى لا يزعجوه.

وقال بمبلز عندما دخل بريكارد:

- إن ما أريده من الزوجة هو الإخلاص.

فسألته كاميليا قائلة:

- ماذا عنك؟ هل ستكون أنت مخلصًا أيضًا؟

- بالتأكيد، إذا كانت من النوع الذي يعجبني، فسوف أكون مخلصًا لها طبعًا.

- وإذا لم تكن؟!

- آه، عندئذٍ أجعلها تندم وتدرك أن الخيانة لعبة يمكن أن يؤديها اثنان، كما فعل كاري جرانت في ذلك الفيلم..

وكان ثمة صحن حلوى من الورق المقوى موضوعًا بجانب بمبلز، ولم يبق فيه غير ربع فطيرة، وكان الغلام جالسًا على مقعد أمام الفتاتين واستندَ سرًّا إليهما بجذعه الأعلى، ومستندًا يرفقه على مسند المقعد.

ونظر الجميع في وقت واحد إلى السيد بريكارد حين قال فجأةً:

- هل تسمحون لي بالجلوس معكم؟

فقال بمبلز:

- أوه، بالتأكيد، تفضل بالجلوس. ما رأيك في هذه القطعة الممتازة من الفطير؟

وبعد أن قدم غليه ما تبقى من الفطيرة، قالت كاميليا لبمبلز:

- وهل عثرت على فتاة أحلامك الآن؟

- نعم، تقريبا، ولكنها.. ولكنها غيبة بعض الشيء.

- وهل هي مخلصة لك؟

- بكل تأكيد.

- كيف تعرف؟

- أوه، أنني لم.. أعني، أنني متأكد، وهذا يكفي.

فقال بريكارد مجازيا له في الحديث:

- أعتقد أنك ستتزوج في وقت قريب، وستستقل بعمل خاصّ.

- لا، ليس الآن أنني أدرس بالمراسلة هندسة الرادار، وأعتقد أن النجاح في هذا النوع من الهندسة مضمون، أن واحدًا من الذين درسوها ينال الآن خمسة وسبعين دولار في الأسبوع.

- أحقًّا؟

وقالت كاميليا:

- وما هو الوقت الذي تعتقد أنه مناسب لزواجك؟

- أنه ليس قريبًا على كل حال، فإن على الواحد منا أن يرى بعض الشيء من هذا العالم قبل أن يستقر. يجب أن يكتسب بعض التجارب. وربما اشتغلت في إحدى السفن مهندسا للراديو والرادار.

وسأله السيد بريكارد قائلًا:

- ومتى سنفرغ من هذه الدراسة؟

- أوه، لسوف أبدؤها قريبا. لقد أعددت كل شيء، وملأت الاستمارة، وادخرت قيمة القسط الأول، ونجحت في الاختبار لقد قالوا لي أنني موهوب..

وكانت عينا كاميليا تنمان عن التعب والملل، وكان بريكارد يختلس النظر إليها من وراء نظارته وهو مطمئن إلى أنها لن تفطن إليه. وبعد أن تأمل وجهها الجذاب وصدرها النافر، أحس كأنها نوع من العطر المثير الذي يفعم النفس بالانفعال واللهفة والشعور بالجوع إلى الانثى. ورأى أن من النادر أن يلتقي إنسان بفتاة من هذا النوع الذي يجمع بين الجمال الباهر، والجاذبية المثيرة، والوداعة الأسرة.

فجأة سمع نفسه يقول وهو لا يكاد يشعر أنه بدأ الحديث:

- مس أوكس، لقد كنت أفكر، أعني أنه خطر لي أنك قد تريدين أن لسمعي عن فكرة عملية ربما تفيدك. أنني مدير مؤسسة كبيرة، وأعتقد أن صاحبتك لن تجد مانعًا في أن أتحدث معك على انفراد بضع لحظات بشأن هذه الفكرة العملية، فهل تسمحين بالجلوس معي، هناك على حافة التل؟ أن هناك بعض الصحف التي يمكننا الجلوس عليها.

وكان بريكارد مندهشا من حديثه هذا، أما كاميليا فقد قالت لنفسها «أخيرًا استسلم المسكين لنزواته؟».

وهبط السيد بريكارد من السيارة أولاً، وراح في شهامة يساعد كاميليا على النزول، وسار معها إلى الصحف التي كان هورتون قد بسطها على حافة التل.

وبعد أن جلست كاميليا وهي حريصة ألا يبين من ساقيها شيء جلس بريكارد بجانبها، وتناول نظارته وراح يمسحها ببطء، ثم قال:

- إنني كنت أفكر.. أعني أن لا في مثل مركزي يجب أن يكون بعيد النظر، وأن يقدر لكل شيء موضعه مقدمًا.

وقالت كاميليا لنفسها في ضجر «أرجو أن يفرغ من هذا اللف والدوران بسرعة، لن الأرض من تحتي صلبة متعبة».

واستطرد السيد بريكارد يقول:

- والمعروف الآن أن أهم ما تحتاج إليه المؤسسات الناجحة، هي الطاقة البشرية الجيدة. أن في مقدورنا الحصول على الصلب الجيد، وعلى المطاط الممتاز في أي وقت، ولكن العقول، والمواهب، والطموح.. أنها طاقات من المستحيل الحصول عليها في أي وقت أو حسب الطلب.

فقالت كاميليا في ضجر:

- اسمع يا أخينا.. إنني متعبة جدًا.

- إنني أعرف يا عزيزتي، ولسوف أصل إلى جوهر الموضوع حالًا. أنني أريد أن تعملي في شركتنا، هذا ما ما أريده منك ببساطة.

- أي عمل؟

- مضيفة مثلا في أول الأمر، ويمكنك بعد ذلك أن ترتقي حتى تصبحي يومًا ما سكرتيرتي الخاصة.

وازداد شعور كاميليا بالضيق، ثم ألقت نظرة على مدخل الكهف الذي ترقد فيه السيدة بريكارد، ثم قالت في شيء من التهكم:

- وما رأى زوجتك في هذا الاقتراح؟

- عجبًا، وما شأنها هي بهذا؟ أنها لا تدير أعمالي؟

- اسمع يا أخينا! أنني متعبة جدا كما سبق أن قلت لك. وما كان يتحتم عليك أن تمهد بكل هذا الحديث الطويل لما تريد. أتتني فتاة أتمنى الزواج، وأقسم أنى سأكون من أحسن وأخلص الزوجات، أن كل ما أريده في الحياة أن استقر، وأن أعفى نفسي من الشعور بالقلق الدائم، والجري المتواصل وراء لقمة العيش. بل أنني في سبيل الاستقرار أرضى بالحياة مع رجل.. ولو كان متزوجا!

فقال بريكارد:

- إنني لا أفهم ماذا تعنين؟

- بل أنك تفهم تماماً. وأنك ستشعر بالنفور منى لأني لا أحاور راداود في الحديث مثلك. أنك تريد أن يستغرق الأمر بيننا شهورًا؟ وربما سنوات حتى

أظل ارتقي إلى أن أغدو سكرتيرة خاصة لك، أو أصبح عشيقة لك، وليس من طبيعتي الانتظار شهورًا من أجل شيء يمكن الحصول عليه في أيام، وهناك أمر آخر مهم، أنك تقول أن زوجتك لا تدير أعمالك، ولكنك مخطئ في هذا القول. إن زوجتك تدير كل شيءٍ في حياتك، بل أنها تفكر لك، ومن المحتمل أنها هي التي تختار لك سكرتيراتك، لأنها سيدة قوية الإرادة حادة الذكاء. وأنني آسفة، لقد كنت أريد أن أكون لطيفة معك، ولكنني أشعر بالإرهاق والتعب الشديد.

- إنني لا أعرف ماذا تعنين بحديثك هذا يا مس أوكس؟

- بل أنك تعرف، أتريد الدليل على أن زوجتك هي التي تتحكم في كل شيءٍ في حياتك؟ من الذي اشترى لك ربطة العنق هذه، أليست هي؟

فارتبك السيد بريكارد وغص بريقه، ثم قال متلعثمًا:

- نعم، نعم، ولكن..

- انتظر! أنها ستعرف كل شيء عني وعنك في لحظة. نعم، وأرجو ك أن تدعني أتحدث معك بصراحة. أنك تأبى أن تطلب من الفتاة التي تشتهيها ما تريد مباشرة، وإنما تفضل أن تحاور معها وتداور، وأن تغريها بالعمل، وتنتظر. ولكن الطريقة العملية يا أخينا هي أنك أما أن تقع في غرامي فتطلق زوجتك وتتزوجيني، فيما بعد، وليس هناك وضع ثالث لأمر كهذا. لقد تجاوزت السن التي يمكن أن يخدعني فيها أمثالك!

فرفع بريكارد رأسه وقال بشموخ:

-اسمعي، أن زوجتي لا تدير أعمالي، من أين جئت بهذه الفكرة؟

-أوه، دعك من المراوغة! أنني أرضى أن أدخل حجر مجموعة من الأفاعي السامة لأواجهها عزلاء، ولا أرضى أن أرضى أن أعيش مع زوجتك ثلاثة، لأن الأفاعي السامة ستكون أرحم منها إذا هي كرهتني.

- إنني مندهش لموقفك هذا. فأنا لم أفكر في شيء من كل هذا، وإنما كنت أحاول فقط أن أعرض عليك عملاً، فأما أن تقبلي أو ترفضي.

- أوه، إذا كنت تستطيع أن تخدع نفسك وتصدق هذا، فالله سيكون في عون الفتاة التي تقع بين يديك، أنها لن تعرف أبدًا حقيقة موقفك منها.

فابتسم بريكارد وقال:

- إنك متعبة الآن. وعندما تستريحين فربما استطعنا أن نستأنف الحديث في هذا الموضوع بهدوء.

وتنهدت في ارتياح عندما لاحظت أن ابرود يشيع في صوته. لقد اطمأنت من ناحيته أخيراً، وعرفت كيف تسكب على عواطفه ماء بارداً. وأنها غير نادمة، لأن رجلا كهذا كفيل بأن يخرجها عن طورها من فرط القلق والسأم.

وكان السيد بريكارد في تلك اللحظة يرى وجهها في صورة أخرى.. كان يرى إمارات القسوة والسخط والتحدي واضحة عليه، وكان يشعر من نظراتها المتهكمة الساخرة أنه يجلس أمامها عاريا تماما، وضاعت كل محالاوته لكي يستر نفسه. وكان في نفس الوقت يعجب من طريقتها العجيبة هذه في الحديث، وفي قولها «يا أخينا » بين الحين والآخر. وما كان ليخطر بباله أنها فتاة سوقية إلى هذا الحد ومن ثم قال لها بشيء من الجفاف:

- الأمر ببساطة أني عرضت عليك عملاً، وإذا كنت لا تقبلينه فهذا شأنك، ولكن ليس هناك ما يدعو أبدا لهذه السوقية في الحديث. كان ينبغي أن تتصرفي وأن تتحدثي كسيدة مهذبة فقالت بصوت لا يخلو من حدة أيضًا:

- اسمع يا أخينا، أنني أستطيع أن أحدثك بنفس اللهجة المتعالية التي

تحدثني بها، ثم ماذا تعني من عبارة سيدة مهذبة؟ أكنت أيها السيد المهذب تستطيع أن تراود سيدة مهذبة بهذه الطريقة من المحاورة والمدورة؟ اسمع، لسوف أقول لك شيئًا. أنك تظن أنك رأيتني من قبل فإذا كنت عضوًا في نادي: «بيروز» أو «الورلد» أو «التوفتنيتي» أو «الثرى توزاند» أو طالاكتاجون».

- إنني عضو في نادي الاكتاجون.

-حسنًا، هل تذكر الفتاة التي جلست عارية تمامًا في إحدى حفلاتكم الترفيهية، داخل كأس بللورية كبيرة كانت تدور أمام عيونكم العجوزة المحملقة؟ لقد كنت أعجب منكم أيها العجائز المراهقون، وأتساءل: ماذا تستفيدون من هذا؟ ولكنني لم أهتم بأن أعرف الإجابة، ولكن الذي كنت أعرفه أن عملية الاستعراض هذه كانت محنة بالنسبة لي..

وتهدج صوتها، ثم إذا هي تنهض فجأة وتردف قائلة:

- إنني ذاهبة لأتمشى قليلًا يا دون جوان، ولكنني أرجوك أن تبتعد عني ولا تثير المتاعب لي، فأنا عرفتك، وأعرف زوجتك، وأعرف ابنتك، واراهن أنها الآن في البيت المهجور بين ذراعي السابق جون!

وفتح بريكارد فمه ليقول شيئاً، ولكنه رآها تنصرف بسرعة، فراح يرقب اهتزازات جسمها وهي تسير، ويتأمل استدارة ساقيها، ويخلع بذهنه كل أثوابها، ويجعلها تقف عارية تمامًا بجانب كأس بللورية كبيرة ثم يراها وهي تدخل فيها ببطء، وإذا هو يحس بما ينتبه أطراف الإبر تلسع رقبته، وإذا هو ينهض ويلقي نظرة طويلة في اتجاه البيت المهجور، ثم يتقدم بخطوات سريعة نحو الكهف الذي ترقد فيه زوجته، ثم إذا هو يندس تحت الغطاء بجانبها.

وفتحت زوجته عينيها وابتسمت له ثم إذا هي تهمس فجأة في اندهاش:

- اليوت؟ ما الذي دهاك، ما هذا الذي تفعله؟

فهمس لاهثًا:

- لا تلفظي بكلمة، حذار أن تلفظي بحرف واحد. ألست زوجتي؟ أليس للرجل أي حق في زوجته؟ أنني لن أقبل بعد اليوم أن أعامل كالكلب الذليل.

فهتفت قائلة في فزع:

-أنك مجنون يا اليوت. ربما يرانا أحد، أوه، ماذا دهاكَ؟ أنك تمزق ثوبي.

- أنا الذي دفعت ثمنه، وأنا الذي سأشترى لك غيره. والآن كفى حد.

□□□

الفصل الرابع عشر

حرارة المراهقة

قالت ميلدرد لجون وهما يغادران المخزن:

- انظر، لقد انقطع المطر، وصفت السماء، وأزاحت الشمس أشعتها على الجبال، فما أجمل منظر الطبيعة، وما أعذب الحياة! وابتسم جون ولم يجب، بينما قالت هي:

- أتعرف أنني أشعر بابتهاج عجيب.. عجيب؟

- بالتأكيد.

- ألا يخامرك مثل هذا الشعور؟ حسنًا، أرجو أن تمسك لي المرآة حتى أعيد تصفيف شعري وتجميل وجهي.

وبعد أن مشطت شعرها ووضعت بعض فنون التجميل على وجهها، قالت:

ما رأيك في يا جون؟

- رائعة! أنني معجب بك.

- فقط؟

- أتريدين أن أكذب؟

- أعتقد أن قليلا من الكذب في هذه الحالة لا بأس به، ألن تأخذني إلى المكسيك؟

- لا

- هذه هي النهاية إذن. الن يكون هناك مزيد؟

- من يدرى!

فأعادت المشبك وأدوات التجميل في حقيبة يدها، وأزالت عن كتف جون بعض القش العالق به، ثم قالت:

- هل نصدق أن أبي وأمي لا يعرفان شيئًا من هذا. و إني أعيش بينهما كالغريبة، فلا أستطيع أن أسأل أمي عن سر هذه الرغبات الحارة التي كانت تزلزل كياني منذ أن بلغت سن الخامسة عشر؟ وقطعت فجأة هذا الحديث، قالت:

- إذا لم نذهب إلى المكسيك، فماذا سنفعل؟

فقال جون وهو يستدير في اتجاه السيارة:

- سنعود إلى أصحابنا حيث أخرج السيارة من الحفرة وأقودها بكم إلى مدينة سان جوان دى لاكروز.

- هل أتناول يدك في يدي قليلا؟

فأعطاها يده ـ وأخذت تضغط عليها بيدها، ثم قالت:

- ألا تقول لي شيئًا مقابل.. مقابل.

فنظر إليها ضاحكا وقال:

- ماذا تريدين؟

- لماذا جئت إلى هذا المكان؟ هل كنت واثقًا بأنى سأتبعك إليه؟

- هل تريدين الحقيقة أم.. قليلاً من الكذب؟

- الواقع أنى أريد كليهما.. ولكن لنبدأ بالحقيقة أولاً. - الحقيقة أنني

كنت في طريقي إلى الهرب. كنت أنوى الرحيل إلى المكسيك حيث اختفى تاركًا الركاب يدبرون أمورهم بأنفسهم.

- أوه، ولماذا لم تفعل؟

- لا أدرى! لقد فشل التدبير لسبب لا أدريه، وخذلتني عذراء جواديلوب وكنت قد ظننت أنى خدعتها. ويبدو أنها لا تحب أن يخدعها أحد، ولهذا أنقذتني حرارة الرغبة في مواصلة الهرب.

- أنك لا تعتقد حقًا أن هذا هو السبب، وأنا لا أعتقد أيضًا أنه هو، فما هو السبب الحقيقي؟

- السبب في ماذا؟ - السبب في ذهابك إلى ذلك البيت المهجور.

فسار جون في طريقه وقد ارتسمت على وجهه الأسمر ابتسامة عريضة وأخيرًا نظر إليها بعينين كلها الدفء ثم قال:

لقد جئت إلى ذلك البيت المهجور وأنا أرجو في أعماق نفسي أن تنصرفي عن السيارة لتتجولي في المنطقة قليلاً، ثم ترين البيت من بعيد فتاتين، وعندئذ أستطيع أن.. أن، وأنت تعرفين الباقي فلفت ذراعها حول ذراعه، ومسحت خدها بقوة في كم سترته، ثم تمتمت قائلة:

- لشد ما أتمنى لو استطعنا أن تعيش في ذلك المخزن بضعة أيام! ولكن هذا كما نعرف مستحيل - وداعًا يا جون.

-وداعًا يا ميلدرد.

وسارا معا في صمت نحو السيارة.

■ ■ ■

كان فان برانت راقدًا على المقعد الخلفي الممتد بعرض السيارة، وكانت عيناه مغمضين بلا نوم. وكان يعتمد برأسه على ذراعه اليمنى مما جعل ثقل الرأس يضعف حركة مرور الدم إلى يده اليمنى ولما غادر السيد بريكارد السيارة مع كاميليا، بقى بمبلز ونورما بمفردهما صامتين إلى حين.

وراح فان برانت ينصت إلى دبيب الشيخوخة في عروقه، بل أنه يكاد يحس بخفيف سريان الدماء في عروقه الخريفية الجافة، ويكاد يسمع هذه الغمغمة المتكسرة التي تصاحب نبضات قلبه. وشعر أن يده اليمنى سوف تتخدر، ولكن يده اليسرى هي التي كانت تثير القلق في نفسه، أن بشرة هذه اليد لم تعد حساسة. وإنما غدت كالمطاط السميك. وأنه كثيرا ما كان يدلكها كلما انفرد بنفسه، ولكن على غير جدوى، ورغم أنه كان يعرف دلالة هذه الحقيقة، ألا أنه أصر على التجاهل.

وانتقل بمبلز إلى المقعد الذي تجلس عليه نورما، فجمعت هذه أطراف ثوبها بلباقة وأفسحت له مكاناً، وتزحزحت قليلًا نحو النافذة.

وقال بمبلز وهو يغمز بعينه:

- ترى ماذا يريد ذلك الرجل العجوز من كاميليا!

- إنني لا أدرى، ولكنني أؤكد لك أنها ستعرف كيف توقفه عند خده إذا أراد أن يعبث بها، أنها فتاة رائعة.

- أوه، أنني لا أجزم، لأن هناك فتيات رائعات غيرها فثارت نورما وقالت بلهجة احتجاج:

- مثل من؟

- مثلك.

ولم تكن تتوقع هذه الإجابة، فحين رآها وقد اضطرم وجهها بعنف، وراحت تتأمل أطراف أصابعها وتحاول أن تتمالك نفسها.

وعاد بمبلز يقول:

- لماذا تركت العمل مع السيد والسيدة شيكو؟

- لأن السيدة شيكو لم تكن لطيفة معي.

- إنني أعرف هذا، لأنها لا تتلطف مع أحد إطلاقا، ولكنني كنت أتمنى أن تبقى، إذ ربما توطت العلاقات بيني وبينك يوما ولم تجب نورما، وعاد بمبلز يقول:

- أستطيع إذا شئت أن آتي لك بفطيرة محشوة بمربى العنب، فما رأيك؟

- لا لا شكرًا. إنني لا أستطيع أن آكل شيئًا.

- لماذا هل تشعرين بمرض ما؟

- لا.

- حسنا. إذا رأيت أن تعودي للعمل في استراحة زاوية المتمردين، فربما أمكننا أن نذهب معا إلى سان سيدور في مساء السبت من كل أسبوع للرقص ومشاهدة الأفلام السينمائية وما إلى هذا.

- إنك لم تفكر في هذا من قبل!

-لأني لم أكن أعرف أنك.. أنك تميلين إلي.

وأحست بشيء من النشوة والتحفُّز يسري في عروقها ورأت أن هذا «محاورة» لطيفة لا بأس من التمادي فيها. ومن ثم. قالت:

- حسنًا، وما الذي جعلك تظن أنَّني.. أميل إليك الآنَ؟

- لأنك أصبحت مختلفة عما كنت - حدث تغيير كبير في مظهرك. أنني معجب بالطريقة الجميلة التي تصففين بها شعرك.

- أوه شكرًا. ولهذا فليس هناك أي سبب يدعوني للعودة إلى العمل في قاعة الطعام باستراحة كورنر. أن أحدا هناك لن يراني و يظهر إعجابه بي. فقال بمبلز بشهامةٍ:

- يكفى أن أراك أنا وأعجب بك. أرجوك أن تفكّري في العودة وأنا أضمن أنهم سيرحبون بك.

فهزت رأسها وقالت:

- لا إنني حين أرتك العلم، فإنما اتركه نهائياً. أنني لا أستطيع أن أعود إليه راكعة. ثم أن المستقبل الآن أمامي واضح، نحن قد فكرنا فيما سوف نفعله.

-فكرت مع من، وما هو هذا الذي فكرت فيه؟

-فكرت مع كاميليا وقررنا أن نستأجر مسكنًا خاصًا فيه المقاعد الوثيرة، ومصابيح أنيقة وراديو، وتليفزيون، وبيانو، وسوف نعنى بمظهرنا، ونرتدى الملابس اللائقة، ونحضر، وربما نقيم أيضًا عندنا ولائم للعشاء.

فقال بمبلز ساخرًا:

- لغو فارغ، أنك لن تستطيعي أن تفعلي شيئًا من هذا أبدًا.

- لماذا؟ ما الذي جعلك تقول هذا؟

- هذه هي الحقيقة، ولا داعى للخيالات. ويحسن أن تعودى إلى زاوية المتمردين، وأنا الآن أدري بالمراسلة هندسة الراديو. وسوف نخرج معا، ونسهر معا، ومن يدرى، فربما ينتهي الأمر إلى الزواج. وأنا أعرف صديقا تزوج في مثل سنّي، والزواج المبكر يجعل الإنسان طموحاً.

ونظـرت نورما بإمعـان إلى وجهه لترى هـل هو جادٌ أم هـازل؟ ولكنه أخطأ تفسـير نظرتها، وظنها تتأمل «حب الشباب» الذي يشوه وجهه، فقال بخجل ومرارة وألم:

- أنا أعرف، أعرف أنك لا تسـتطيعين أن تخرجي مع شاب مشوه الوجه «بحب الشـباب» مثلي. ولكنني أؤكد لك أني لم أدخر وسـعًا في علاجه، لقد أنفقـت أكثر من مائة دولار على الأطبـاء في شراء الأدوية، وقد أكد لي أحد الأخصائيين أن هذه الحالة سـتزول من تلقاء نفسـها بعد عامين على الأكثر، حسـنا..

ثم أردف قائلًا بعنف وسخط:

- حسـنا، اذهبي إلى مسكنك الجديد، ومن يدري، فربما أتيحت لي الفرص لأتمتع في الحياة بأشياء لا تحلمين بها. وأنا في غير حاجة إلى رثاء أحد.

ونظـرت نورمـا إليه في اندهـاش، لقد كانـت تظن أنها فقـط هي التي تشـعر بمثل هذه الآلام النفسـية، أنها في حياتها لم تجد أحـدًا يطلب منها أن تقف بجانبـه، وتملأ حياته بالعطف والثقة بالنفس. ومن ثم أحسـت بموجة مـن الحنـان تنفجر في أعـماق كيانها، وإذا هـي تقول له بصوت يسـيل رقة وعذوبة:

- أوه، أرجـو ألا تظن هذا بي، لأن الفتاة التي يهمها أمرك لا تهتم بمسـألة بسـيطة كحب الشـباب، أنها حالة لا تلبث أن تزول بعد عام أو عامين كما أكد لك الطبيـب.

فقال بصوت باكٍ:

- إنني في بعض الأحيان أتعذب بحيث أكاد أفضل الموت على الحياة.

- أوه، لا، لا تقل شيئًا كهذا.

- إنني إنسان بائس لا أجد أحدا يحبني، وليس هناك من يحب أن يتعامل معي!

فعادت نورما تقول:

- لا لا، لا تقل هذا، أنك مخطئ، فأنا.. فأنا أحبك.

- لا، أبدًا.

فوضعت يدها على ذراعه لتؤكد له صدق حديثها. ومد يده وأمسك بيدها في رفق، ثم ضغط عليها، فاستجابت له وضغطت على يده بدورها، وهنا استدار في مكانه، وألقى بذراعيه حولها وضغط بوجهه على وجهها ليقبلها، ولكنها هتفت قائلةً:

- لا، لا، ابتعد.

فضاعف من عناقه لها، فقالت:

- لا، جدار، أن الرجل العجوز نائم وراءنا.

فهمس بمبلز قائلاً:

- ألا تسمعين غطيطه؟ أنه مستغرق في نوم ربما لا يصحو منه. تعالى إليَّ.

فدست مرفقها في صدره لتبعده عنها بينما كانت يداه تعبثان بثوبها وتحاولان تمزيقه وهتفت به أمرة وقد أدركت أنها خدعت فيه:

- دعني وشأني، دعني انصرف من هنا. كفى، كف عني.

فقال بصوت كالفحيح وقد تألقت عيناه بالجنون وهو يحاول تمزيق ثوبها.

- تعالى. تعالى إليَّ، يجب..

- أوه. أرجوك إن كاميليا قد تأتي في أية لحظة. ماذا تقول لو رأتنا هكذا؟

فتوقف بمبلز برهة وقال في عنف وسخط:

- وماذا يهمنا من هذه الشريدة الضائعة!

وفتحت نورما فمها، ونظرت إليه في غضب قاتل، ثم وثبت واقفة وانهالت على وجهه بقبضتيها، فتراجع مذعورًا وهو يرفع يديه ليحمي وجهه من ضرباتها، وكانت هي تهاجمه كقطة متوحشة وتقول:

- أيها الثعلب الخبيث، أيها الثعلب القذر الحقير. كيف تجرؤ أن تقول هذا عن ملاك في صورة إنسان...!

وراحت تضربه وتركله وتدفعه إلى الممر الواقع بين صفي المقاعد، حتى إذا سقط على الأرضية من فرط المفاجأة والذهول، اندفعت هابطة من السيارة، وراحت تجرى وهى تهتف ساخطةً:

- الثعلب الحقير، الثعلب القذر المنتن!

ونهض بمبلز مرتبكا، وأطل من النافذة، ورآها وهى تجرى بعيداً، ولكنه لم يدر ماذا يستطيع أن يفعل.

ورأت كاميليا صاحبتها نورما وهى مقبلة نحوها تجرى، فنهضت وتلقتها بين ذراعيها، وأجلستها بجانبها وهى تقول لها.

- ماذا بك عزيزتي؟ ماذا حدث؟

فرفعت نورما وجهها المبلل بالدموع وتمتمت قائلةً:

- لا شيء لا شيء.

- لا لا، يجب أن تصارحيني بما حدث.

فرفعت نورما يدها ومسحت عينيها بظاهرها مفسدة بذلك كل ما صنعته كاميليا في وجهها من فنون التجميل، ثم قالت:

- إنني لا أريد أن أتحدث عما حدث.

-حسنا يا عزيزتي، ليكن لك ما تريدين. أنت وشأنك.

-لقد أراد بمبلز أن.. أن ينالني!

-أن بملبز أو غيره لا يستطيع أن ينال أي فتاة رغما عنها. اطمئني من هذه الناحية ولا داعي لكل هذه الانفعالات.

-ولكن ليس هذا هو السبب الأساسي لغضبي منه.

-إذن ما هو السبب؟

فعادت نورما تمسح عينها، ثم تقول:

لقد ضربته وركلته لأنه قال.. قال عنك، أنك شريدة ضائعة.

□□□

الفصل الخامس عشر

أضواء
في أفق الليل

أسرع جون في سيره حتى اضطرت ميلدرد لأن تقول له:

- هل من الضروري أن نجرى هكذا؟

- إنني أريد أن أخرج السيارة من المنخفض قبل أن يظلم الجو.

- أتعتقد أن في مقدورك أخراجها؟

- نعم

- حسنًا! لماذا لم تحاول أن تخرجها بدلا من تركنا والابتعاد عنا فخفف من سرعة مسيره وقال:

- لقد أخبرتك بالسبب.. أخبرتك به مرتين.

- آه، نعم. إذا فقد كنت تتعمد هذا حقا؟

- كنت أتعمد كل شيء.

ووصلا إلى السيارة قبل أن يغيب قرص الشمس وراء المرتفعات الغربية. وكانت الأشعة الغاربة تنطلق إلى بقايا السحب وتنعكس منها وتكسو المنطقة بضوء وردى جميل.

وبرز بميلز من وراء السيارة عندما رأى جون يصل إليها، ثم قال له:

- متى ستحضر سيارة الإنقاذ؟

- لم أتمكن من استدعاء أحداها. وعلينا أن نخرج السيارة بأنفسنا، وسنحتاج إلى معاونة الجميع.. أين هم؟

- إنهم متفرقون هنا وهناك.

- حسنًا، استدعهم وناولني المشع الكبير.

- إن تلك السيدة تنام عليه، في ذلك الكهف.

- حسنًا، أيقظها وهاته. وأريد أيضًا أن تجعلهم يجمعوا كل ما يستطيعون جمعه من الأحجار والصخور، وسوف آتي أنا ببضعة ألواح أو كتل من الخشب من سياج المزرعة القريبة. هلم أسرع ريثما استخرج من السيارة بعض الآلات والجاروف والمعول والرافعة الكبيرة.

وصمد جون إلى السيارة، فلما رأى فان برانت راقدًا على المقعد الخلفي، قال له:

- أرجو أن تنهض حتى أخرج بعض الأدوات من الصندوق. وفجأة أحنى على الرجل وقد أدرك من عينيه المفتوحتين، ومن حشرجة أنفاسه أنه في حالة احتضار، فأسرع هذا إليه، قال له:

- إن هذا الرجل مريض جدا، أسرع وأتني بقطعة صغيرة من الخشب لا يقل طولها عن عشرين سنتيمترا، واستدع أحدًا لمعاونتي على رفعه.

وهاد بمبلز بقطعة الخشب وبالسيد بريكارد ن فقال له جون:

- أرجو أن تساعدني على زحزحته قليلا حتى أستخرج ما أريد من أدوات، وبعد ذلك أرجو أن تضغط بقطعة الخشب هذه على لسانه حتى لا ينحشر في حلقه ويختنق.

وجلس السيد بريكارد بجوار الرجل المريض ممسكا بقطعة الخشب التي تضغط على اللسان، وكان يشعر بالغثيان من منظر الرجل، ومن الرائحة المنبعثة من فمه، ولكنه قرر أن يقاوم وأن يتحول بأفكاره بعيدًا عنه.

وحلقت أفكاره حول ما حدث بينه وبين زوجته. وشعر فجأة كأن سهما باردًا اخترق قلبه حين رآها تصعد إلى السيارة وتجلس على أول مقعد فيها دون أن تلتفت إليه أو توجه له كلمة واحدة وقال لنفسه:

«لا شك أنني فقدتُ عقلي، و إلا كيف طاوعتني نفسي على اغتصابها هكذا».

وفى خارج السيارة كان بمبلز بكل ملابسه الفاخرة راكعا في المنخفض الممتلئ بماء المطر، يتناول الأحجار والصخور من نورما وكاميليا و يدسها تحت العجلة الخلفية اليسرى بعد أن رفعها جون بالرافعة، وكانت ميلدرد تجرى هنا وهناك وتجمع الأحجار من كل نوع وتكومها بالقرب من حافة المنخفض، وكان جون قد استطاع أن يأتي من سياج أحدى المزارع ببضعة ألواح من الخشب وراح يضع بعضها تحت العجلة المرفوعة ليثبت قاع المنخفض فلا تغوص العجلة فيه مرة أخرى.

ولما أرادت كاميليا أن تساعد بمبلز في دس الحجارة تحت العجلات أمسك أرنست هووتون يدها ليمنعها قائلًا:

- إنك ستفسدين ثيابك بقذارة الأوحال إذا هبطت.

- وهل سأكون أقدر مما أنا الآن؟

فأراح مرفقه على جانب السيارة وقال:

ألا ترغبين في أن تعطيني رقم تليفونك؟ فإنني لا أجد ما يمنع من أن نخرج سويا بين الحين والآخر بعد وصولنا إلى لوس انجلوس.

- إنني الآن بلا مسكن، وليس لى من ثمة رقم تليفون.

- حسنًا، إنني لا أريد أن أرغمك.

- أؤكد لك أن هذه هي الحقيقة. أين ستقيم أنت في لوس انجلوس؟

- في فندق هوليوود بلازا.

-حسنًا، إلّا رأيت أن تكون في بهو الفندق في الساعة السابعة من مساء الغد، فإنه يسرُّني أن آتي إليك.

- عظيم جدًّا، وأنا يسرُّني أن أمضي بك عندئذ إلى مطعم ماسو فرانك لتناول العشاء.

- أنك لطيف!

- وأنت ألطف.

وبعد نصف ساعة من الجهد المتواصل، تمت جميع الترتيبات الأولية لإخراج السيارة من المنخفض، ولم يبق ألا أن يجلس جون في مقعد القيادة، ويدير المحرك ويحاول أن يخرج بالسيارة من المنخفض بمعونة الركاب الذين كان عليهم أن يدفعوا بها لمساعدة المحرك على جذب السيارة إلى الخارج.

وجلس جون في مقعد القيادة، وأدار المحرك، وتركه حتى يسخن، ثم تنهد بعمق، وأطل من النافذة وطلب من بميلز أن يسرف على تسبق حركات الركاب في دفعهم الجماعي للسيارة.

وبدأ جون في قيادة السيارة خارج المنخفض، وتعثرت العجلات الخلفية قليلا، ولكن قوة المحرك واستماتة الركاب في الدفع جاء بالنتيجة المنشودة، وإذا بالسيارة تخرج من المنخفض سالمة.

وقال جون لتمثال العذراء:

«شكرا جزيلًا يا سيدتي، إن كل ما أرجوه منك الآن أن أجسد أليس قد أفاقت من السكر عند عودتي إليها».

ولم تعد السيدة بريكارد مكفهرة السمات أو محزونة النفس، وإنما أخذت الابتسامة السعيدة ترف على شفتيها وهي تفكر في أنواع النباتات النادرة من فصائل «الأوركيد» التي سوف تنبتها في البيت الزجاجي.

وقال مبلز لجون في مودة وتقدير:

- إذا كنت متعبًا يا مستر شيكو، فدعني أقود السيارة بدلا منك إلى سان جوان دى لاكروز.

- لا لا، شكرًا يا كيت.

وقالت ميلدرد لنفسها وهي ترنو إلى جون من بعيد:

«إنني لن استمر في هذا اللون من الحياة الذي جعل الشبان الصالحين للزواج بي ينفرون مني، لأني أريد أن أتزوج في أقرب فرصة ممكنة»..

واقترب أرنست هورتون من السيد بريكارد الذي كان لا يزال جالسًا بجوار العجوز فإن برانت، يضغط على لسانه بشريحة الخشب حتى لا يدعه ينحشر في حلقه ويسبب له الاختناق.

وقال أرنست هورتون له:

هل تسمح لي أن أحل محلك كي تستريح قليلًا؟

- لا لا، شكر، ترى ماذا أصابه؟

- أعتقد أنها جلطة دموية.

-وهل سينجو منها؟

- ربما، إذا لم تكن الثالثة، والآن، أنني سأكون في فندق هوليوود بلازا، ويمكنك الاتصال بي تليفونيًا لكي نتفق على موعد اللقاء.

فتردَّد السيد بريكارد برهة، ثم قال باسمًا:

- أعتقد أنني سأكون مشغولا جدًا في الأيام المقبلة، ولعل من الأوفق أن تأتي إلى مكتبي ذات يوم بالشركة، ويمكننا عندئذ أن نتبادل الحديث في مختلف المشروعات.

- ليكن ما تريد.

وأطلت نورما من النافذة حيث رأت الظلام ينتشر في صفحة السماء، ولما لمحت عند حافة قمم الجبال البعيدة أول نجم يضيء، قالت تخاطبه:

«يا أول نجم، يا أول نجم أراه السلة، حقق أملي، حق أملي الذي أرجوه الليلة».

واستدارت كاميليا نحوها بعينين مثقلتين بالنوم وقالت لها:

- ماذا تقولين يا عزيزتي؟

فصمتت نورما برهة ثم قالت:

- أقول سوف ننظر كيف ستسير الأمور.

- آه نعم، سوف ننظر كيف ستسير الأمور.

وفي تلك اللحظة تألقت في أفق الظلام البعيد عقود خافتة من الأضواء التي أخذت تزداد وضوحًا كلما اقتربت السيارة منها.. أنها أضواء نهاية المطاف!

□□□

انتهت

قبل مدينة سان سيدور بنحو اثنين وأربعين ميلاً، وعلى الطريق الزراعية العامة ناحية الشمال الغربي من ولاية كاليفورنيا، هناك مفترق طرق أطلق عليه منذ اثنين وثمانين عامًا اسم (Rebellers Corner - زاوية المتمردين). وترجع تسميته بهذا الاسم إلى عائلة من ثوار الولايات الجنوبية في الحرب الأهلية الأمريكية عام 1862، احتمت في هذه المنطقة، ودافعت عنها، واستقرت فيها، واشتغلت بالحدادة والزراعة فترة من الزمن، ثم انقرض أفرادها عن آخرهم دون أن يتركوا وراءهم غير هذا الاسم الذي أطلق على مفترق الطرق في تلك المنطقة.. ومن هذا المفترق للطرق تمتد طريق تنعطف يمينًا باتجاه الغرب لتسعة وأربعين ميلاً، وعندئذ تتصل بطريق زراعية أخرى كبيرة؛ تمتد من سان فرانسيسكو إلى لوس أنجلوس، ومنها بطبيعة الحال إلى هوليود.

W.Salama - 2 0100 15 17 873

الأوتوبيس الطائش

مكتبة نوميديا 209
Telegram@Numidia_Library